رواية
السراب الصاخب
إلهام حيرش

الإهداء :

قبل كل شيء أود أن أحمد الله على نعمة وهبي العقل الفطن و رجاحة التفكير في كل خطوة أخطوها .

* يا من قدمت لتقرأ أبشر وبادر.*

إلى كل من امن بموهبتي إلى كل من كانوا السند الدائم لي في كل خطوة أخطيها سواء كان بين مساري العلمي في مجال الهندسة و هواية الكتابة و الشعر إلى والداي الكريمين إلى عائلتي عائلة حيرش.

إلى أمي قرة عيني و مصدر قوتي في الحياة ملهمتي والمستمعة الدائمة لي في كل خاطرة أكتبها وقصيدة أنظمها إلى أبي حبيب قلبي وروحي الرجل الأول الذي أحببته منذ أن فتحت عيناي على هذه الحياة .

إلى أختي أية هديل داعمتي ورفيقتي في أحلامي الرسامة الماهرة و إلى أختي الصغرى صفاء حبيبتي المشاغبة الحلوة إلى أختي الكبرى نوال تركتها في الأخير لأنها صاحبة الفضل لأنها آمنت بي أتمنى لها كل النجاح و السعادة مع عائلتها الصغيرة إلى أخواي كريم وياسين مفخرتي في الحياة أهدي شكري وتقديري في الأخير ووددت أن أخصص لكي هذا الجزء صديقتي وتوأمي

رفيقتي في الكفاح مرام عياد شكرا حبيبتي على تشجيعك الدائم لي بنشر أول أعمالي شكرا حبيبتي .

بقلم الكاتبة الهام حيرش.

الـفـهـرس

المقدمة..... 01

الفصل الأول:أحلام بريئة..... 04

الفصل الثاني :طفرة..... 21

الفصل الثالث:بلا عنوان.....36

الفصل الرابع :الحنين.....54

الفصل الخامس:لكل بداية نهاية.....72

مقدمة :

قلم يكتب وقلب ينبض بالأمل يتوعد النصر المحقق أين مرادي في البحث عن حلمي الضائع المعمق ، أهكذا تكون خاتمة أمالي وأحلامي أشعر باليأس والشجون المرفق.

ما بك عزيزي القارئ يبدو أنك تشعر بالحيرة الآن حضرت كوب من القهوة الساخنة وفتحت هذا الكتاب كي تستمتع بقرأته وإذ بك تصطدم بهذه الكلمات المحبطة المنبثة بالتشاؤم والعزوف عن الأمل والتفاؤل ، لا تستغرب كثيرا هذه الكلمات كنت قد كتبتها وأنا في قمة الإحباط منذ زمن. سأروي لك أحداث ممزوجة بالحب التشويق والإثارة الكآبة ، النجاح ومواقف كثيرة من الانكسارات بين دفتي هذا الكتاب ستبكي معي كما كنت وستقلب صفحاته بشغف كي تصل للحظة التي نجت فيها" لينا " من الحادث المميت ، التقائها بسرابها العنصرية و ما سببته لها ، وقوعها في الغرام كذا حكايتها مع المعجب المجهول الغيرة والحسد القاتل هجوم المافيا لاغتيالها ، التقائها بعائلتها بعد مرور سبع سنوات من الهجرة ، "لينا" من هي" لينا " تساؤل يتبادر إلى ذهنك لا تسرح كثيرا بخيالك تابعني للنهاية فهناك أحداث كثيرة مليئة بالإثارة والتشويق ، أنا لن أجبرك على إكمال هذه الرواية لأني أعلم أنك ستكملها ليس غرورا مني لكنها ثقة وفضول منك في معرفة خاتمة كل هذه الأحداث المثيرة لأني على يقين بأنك إنسان فضولي و عميق مثلي ، تقرأ لتكتب

تستمع وتستمتع بكل سطر تقرأه لتغترف من نهل أحداث هذه القصة ، قرأه ممتعة .

الفصل الأول

أحلام بريئة

الفصل الأول : أحلام بريئة.

نعم أنا تلك الفراشة المحلقة في السماء

مسافرة حائرة مخيرة بين المكوث أو الهيام

ارتأيت عن سربي الكثيف تشابكت

بمسلك العتاب الريبة العجز القاتل حتى الملام

تقصفت جناحي من كثرة الهوان

الأسى و تأنيب الضمير القاتل للعيان اللوام

(فقط لبرهة لأسترد نفسي، أود البوح لكي بسر يا" نغم " مللت حقا من كل هذا التنمر والسخط الذي يلاحقني من كل صب ونحو ،كم أتمنى أن يكون لي جناحا أحلق بيه بين الغيوم أهرب به من هذا المجتمع الكئيب الظالم أود السفر و مغادرة ترهات قيد هذه العادات الزائفة اااه ياا الله كم أتمنى ذلك بشدة") هذه كانت رغبة "لينا " قبل خمس سنوات من حصولها على تذكرة السفر وهي لازالت طالبة في الإعدادي، منذ اشتداد عودها وولوجها لشغف الحياة وهي تحلم بإنهاء دراساتها العليا في الخارج كي تتحصل على شهادة الهندسة وتحقق حلمها وحلم والداها ." لينا " صاحبة الثامن عشر ربيعا فتاة جميلة متوسطة القامة ذات عينان

عسليتان وشعر مخملي يتمايل مع همسات الهواء العليل كما أنها بعدد جمالها الأخاذ تمتلك دهاء وذكاء على غير قريناتها من بنات جيلها حيث أنها تحصلت على شهادة البكالوريا بامتياز مما خولها

للحصول على منحة لإكمال دراستها في الخارج. ("هاي هااي على رسلك تمهلي للحظة لما كل هذا هههه ما بك يا فتاة على رسلك جنحا دفعة واحدة !")تجيب "نغم " ، "نغم" من "نغم" هي الرفيقة والصديقة المقربة من" لينا " فتاة طيبة خجولة في أغلب الأحيان متوسطة الجمال على قدر لا بأس به من المعرفة .

كثيرة هي الأحلام التي تراودنا لتحقيقها سواء كانت سهلة المنال أو صعبة بصعوبة تسلق قمم الجبال نظل نحاول ونحاول حتى نبلغ المطلب الذي نخاله محال هذه العبارة التي كانت لا تفارق " لينا " على طول الدوام، تكتبها على صحائف مذكرتها الصغيرة قبل نومها كأخر عبارة بعد تدوينها ليومها كيف مضى أملا منها في أن تحقق ما تسعى لأجله ، عاجلا غير آجلا .تتوالى الأيام وتمضي بين إشراقة شمس و بزوغ بدر قمر جميل في ظلمة ليالي الخريف الهادئ تزاول "لينا" مجرى حياتها . ذات يوم قرر زملاء لينا في الصف تكريم أستاذتهم مع اقتراب تقاعدها و كذا بمناسبة نهاية السنة الأخيرة في الثانوية .حظر الطلاب حفلة صغيرة على شرفها تقديرا لمجهداتها ، سرت الأستاذة بتلك

الالتفاتة الطيبة من طلبتها مقدرة لهم الموقف وأكيد كان ل"لينا" الإشادة الأكبر لأنها كانت صاحبة الفكرة والمبادرة الحسنة .

يظل الطالب مدين لمعلمه لأبعد أزل فالمعلم هو المربي والمعين المكلف بتكوين جيلا كاملا قائم على التربية قبل التعليم،الأخلاق و القيم النبيلة كلها من سترسم له مستقبلا مشرقا باهرا على صعيدي المعرفي و الدنيوي.لا تكفي الكلمات ولا حتى كل قصائد الشعرية تقديرا له هذه بعض من الأبيات تمجيدا وإشادة بمجهداته الجبارة :

يا جوهر الوفاء لرسالة الأنبياء

تبجيلا لمن وهب حياته كلها للعلام

تربية للأجيال على مر الزمان

كد عمل بلا ملل على طول الدوام

تحية عرفان توقير، وامتنان

تدبر سنين العمر بمجملها كالمنام

كهبة رياح عاصفة في ليالي

شتاء ، غير مبالين كلهم عزم و قيام

هيهات،ببصمة معلم سامي

عزيز رفيع الهيبة مقتدر عظيم المقام.

بلورات المطر تتساقط ، رياح الشتاء تعصف والجو يطارد نسمات البرد لتعانق بادرة فصل الشتاء المصاحب لدموع "لينا "الباكية على مفارقة والداها،نعم حان الموعد لشد الهمة والارتحال جمع الحقائب و توديع الأهل والأحباب الوجهة عاصمة الضباب والسراب "لندن ". يرن المنبه الساعة السابعة صباحا " أسرعي هيا ستقلع الطائرة ، جمعت كل أغراضك بكل هذه السرعة ! "هكذا كان والد "لينا " وهو في أخر صباحا مع ابنته وفلذة كبده .

لأول مرة تطأ قدما "لينا" الطائرة ،حالة ذهول ممزوجة بالفرح والسرور حلم على مشارف التحقيق .

قد تداعبني الحياة في طفولتي ... وتجعلني أدور وأرقص من الفرح ... قد تكون البراءة سر ذلك ... رغم خوفي من القادم . فالحياة لغز بلا جواب ، الخوف من المجهول مصاحب لشعور الفرحة للمغادرة كله كان يخالج "لينا" وهي في الطائرة.حطت الرحال جسد الحلم إلى واقع أخيرا بتسارع نبضات القلب ولمعان بارز للعيان كلها ثقة و حزم للبداية هكذا كانت نقطة التحول في حياة" لينا ".

نظمت "لينا" كل أمور الإقامة الجامعية من جميع النواحي في مدة لا تتجاوز ثلاثة أيام فقد حضت برعاية مطلقة من الدولة وذلك لتفوقها وضفرها بالمنحة التي كان الكل يحلم بها.

****

لكل بداية نغم خاص عسى أن تكون لتلك البداية نهاية تواكب ما يسعد قلوبنا .

أي كيواليس هاوس (إقامة موجودة في مدينة أكسفورد البريطانية) كانت تلك هي البداية.

" ااا لقد تأخرت في أول يوم ما هذا !" "لينا" تؤنب نفسها في أول يوم دوام لها في جامعة أكسفورد أعرق جامعة في المملكة البريطانية.

حزمة من الأوراق حقيبة على الظهر وشاح على الرأس يزين تلك الطلة البهية ، لصاحبة العيون العسلية المحتشمة بخصالها الإسلامية ، تسارع نبضات القلب مع كل خطوة تخطى، مسار جديد يخط .

"Good morning students, how are you? What is this !! who you are and why are you putting this scarf on your head? Let's get out of here. What is this insignificance in my class ?"

"صباح الخير يا طلاب كيف حالكم؟ ما هذا ! من أنت ولماذا تضعين هذا الوشاح على رأسك؟ أخرج من هنا. ما هذه التفاهة في صفي" كانت هذه الكلمات التي قيلت ل"لينا" في أول صباح لها نعم إنها العنصرية يا سادة .

كما تعلمون تعتبر بريطانيا من أوائل الدول الداعمة للحرية والدفاع عن حقوق الإنسان لكن رغم ذلك اضطهادهم للمسلمين وازدرائهم منهم أصبح ارث متوارث ومسلمة معهودة لدى الغرب ، تجردهم من الإنسانية دوما كان مع المسلمين.

دموع منهالة ، مشاعر منهارة ، وجه محمر كتفاحة مصقولة بالخيبة والأسى من ذلك الموقف مع بداية أول يوم لها خروجها ذاك كان له أثر نفسي كبير ووقع قاسي لها ، لو كانت على سابق زمانها لارتمت في أحضان أمها وبكت من ظلم أستاذ لها في المدرسة لكن لا يا عزيزتي هنا الوضع مختلف ، جامعية صرت الآن فتاة عشرينية غادرت عش أمها الصغير مكافحة في عالم غريب المعالم مجتمع حاقد عنصري متفاوت الطبقات متشائم لكل حلم إنسان حالم مقاوم لمعتقدات و عادات محطمة كاسرة لكل اعتقاد أو مسار سليم .

This community fought for spontaneity, fluidity and simplicity, and a lover of contract, hypocrisy and industrialism par excellence .

"Dostoevsky"

هذا المجتمع قاتل للعفوية التلقائية والسلاسة والبساطة ، وعاشق للعقد والنفاق والتصنع بامتياز. "دوستويفسكي"

بالفعل انه كذلك خاصة وان كان من يواجه هذا المجتمع فتاة عشرينية في مقتبل العمر طموحة .

يوم جديد صحوة من اليأس والشجون على وتيرة العزم والنشاط تدارك للوضع انطلاقة جديدة ، هكذا كانت كلمات" لينا" لتناسي خيبة الأمس .

جو مثلج رياح تعصف مصاحب لبداية هذا اليوم ، طقطقة يدق الباب "من الطارق من هناك ؟" "تجيب لينا"

"Open the door, hurry up, I froze from the cold".

"افتح الباب ، أسرع ، تجمدت من البرد" يرد الطارق .

تفتح "لينا" الباب قائلة وهي في حيرة من أمرها "من أنت لماذا قدمت إلي !".

"Can't you open the door with your mouth shut, idiot"?

"ألا يمكنك فتح الباب وفمك مغلق يا لكي من حمقاء ؟" هذه بادرة اللقاء الأول ل"لينا" بالرفيقة الجديدة في السكن ذات الأصول المالية .

سرع نما تداركت "لينا" الموقف فقامت بإدخالها للسكن والتقصي عن حالها والتعرف عليها ." "ياكاري " اسمي" ياكاري " ما اسمك أنت أيتها البلهاء !" تعرف المالية عن نفسها ل"لينا" " أنا "لينا" سررت بلقائك عذرا منك عليا المغادرة الآن لدي محاضرة لقد تأخرت" تخرج صاحبة العيون العسلية مسرعة لدوامها .

سخرية وازدراء وسط الصف حكايات من وراء الظهر" تلك التي طردت من الصف يا لها من غبية ما هذه الملابس ..." هذه الأقاويل التي كانت تردد من وراء ظهرها .

قيل لي أني فتاة عشرينية و يجب على

البسمة أن لا تفارق محياي فلا يليق بي

إلا الفرحة والابتسام أمعنت في الحديث

من برهة وعشية حتى أنني توجهت

ناظرة إلى مرآتي الجوهرية سائلة إياها

أحقا أنني لازلت أحضا بالنشاط والحيوية

ألم ترهق بي الحياة و تدخلني إلى دوامة الألفية

أحقا أنني لازلت في مقتبل العمر وبإمكاني

تتويج حقبتي هذه على أنها أيقونة مسيرتي الزمنية

خلت نفسي لوهلة أنني غادرت عالم الشباب وصرت خمسينية

لما عشته من مآسي و أضرار دنيوية علمتني الحياة على

أن أكون فوق سني بمراحل خرافية حتى أتجاوز العقبات

ليس عيبا في أن أكون قد بلغت من العمر العقلي ملاذ

تدارك الصدمات ما يخولني عجوز تفكيرية على العكس

صرت أفخر بأني ذات طلة بهية فتية محملة بخبرة

حياة عجوز مسنة أدركت ما يكفيها لتحمل بعض البشر.

هكذا كانت" لينا" متصدية لما كان يقال من خلف ظهرها غير مبالية بما يقال حتى وان كان في القلب ألف غصة وغصة .

بتاريخ الثامن عشر من يناير التاريخ الذي كان كفيلا بإجلاء صاحبة العيون العسلية من الخيبات لطريق النجاح ،الأولى على الدفعة نعم بامتياز سابقة هي الأولى في كلية الهندسة لجامعة أكسفورد وسط ذهول كل الطلبة والدكاترة .

****

نحنُ لا نعيش في عالم الأفلام يا رفيق..
لن يأتي أحدٌ في لحظات رحيلكَ الأخيرة ليخبركَ بأنه لا يستطيع العيش بدونك ، لن يتصل بكَ أحد ويخبركَ أنه يحس بأنكَ لست بخير ،
الأشرار لا يخسرون دائماً ،
والطيبون لا يربحون معركتهم الأخيرة ويحققون حلمهم الكبير ،
الوعود تُقطع ولا تُنفذ،

لأن أولى محطات النجاح عادة تكون بخيبة محطمة للآمال مكللة بخيانة من الدنيا تصفعك لتعاود النهوض من جديد كي تحقق نصرك الأكبر والأمثل.

يوم جديد روح منتشية بالانتصار والفلاح ، مكتب فاخر ، إطلالة رائعة ، حاسوب أوراق أقلام : "كل هذا لأجلي كم أنا محظوظة ! محظوظة ماذا يا بلهاء كل هذا بفضل الله أولا وجهدك ، تفوقك الذي أسكت كل تلك الأفواه الساخرة منك لا تنسي يا فتاة أبددا ذاك اليوم الذي طردتي منه يجب عليك الانتقام من ذلك الوغد"الأستاذ" بكل الطرق وانتقامك سيكون بنجاح تلو نجاح " هذه كانت ردت فعل بطلة قصتنا على العمل الذي منح لها بعد تفوقها على دفعتها و تحصلها على مكتب خاص بها لتمنح فرصة من ذهب كي تبرز رصيدها المعرفي وشغفها الهندسي في مخطوطات ومشاريع باهرة .

غرورك الذي طغى على الأرض قلدك وسام الأنانية خولك عبده للتظاهر و التكبر بعيدا عن العفة و الشفافية ترنحي قليلا يا فتاة وكوني للتواضع عنوان.

غرور تلاه تكبر هذه الخصال كانت تتطبع في "لينا" يبدو أن شعور الانتقام ولد لديها مشاعر عدائية للكل هذا مكان السبب الأول في كونها منبوذة من الكل.

"ياكاري" لازلتم تتذكرون الطالبة المالية رفيقة" لينا "بالسكن ، حسنا لقد كانت هذه الفتاة بمثابة قنبلة موقوتة لا تدري متى تنفجر وتحدث الفاجعة .

في ليلة من ليالي الشتاء البارد وبينما كانت صاحبة العيون العسلية منهمكة في تحضير مشروعها الخاص و إذ بالهاتف يرن "نغم" تتصل تجيب "لينا" و السعادة لا تكاد توصف شوقا لصديقة الطفولة :" قطعة السكر غاليتي كيف حالكي يا فتاة والله لأنك غريبة كيف أحسست بأن ...." توقف "نغم" "لينا" قائلتا ونبرة الحزن في صوتها :" "لينا" حبيبتي أنا آسفة لما سأقوله لكي الآن ، لقد نشب حريق هائل في منزلكم ووالداك الآن يقبعان في المستشفى يعانيان من اضطراب تنفسي يجب عليك العودة حالا ...." .

بنبرة عدائية تجيب "لينا" : "ما كل هذا الغل يا "نغم" وصل بك الأمر للكذب وافتعال الأحداث كنت أعلم من أنك تكرهينني

وتغارين مني لكني كنت أتغاضى يا لي من سذاجة ....."..

تغلق "نغم" سماعة الهاتف من حدة كلام "لينا" وتعاود إرسال لها رسالة مخبرة إياها بأن الحادث صحيح و إن أرادت التأكد فلتتصل بأقاربها و معارفها في البلد لتتأكد.

قد تكون الصدمات المتتابعة سبب رئيسي في انعدام الثقة ، وتوجيه الإساءة لأشخاص لا طالما كانت تربطنا معهم علاقة وطيدة نتسبب لهم في أذى معنوي ذو أثر بالغ هذا كله كان قد حصل مع "لينا" و ردها العدواني مع صديقة عمرها "نغم" .

رسالة تقرأ هاتف يسقط على الأرض سكون مخيم دموع منهالة وجه شاحب ، هذه كانت بوادر الحزن الفزع و الحيرة لبطلة قصتنا بعد ما تأكدت من خبر الحادثة حيث اتصل الكل كي يخبروها بما حدث لعائلتها .

•لحظة صمت ، مكان هادئ الظلام داكن ،الجو راكد

•وجه شاحب ،ألم جارح نحيب يسمع ،وجع بارد

•رياح تعصف والجو مثلج ضمير معاند للقلب الجامد

•شلال دموع منهارة أحرق المحيى البريء....

•ولو لمرة يا خانقي توقف ولو لوقفة من قريب لا من بعيد

•قف جانبا لترى ندمي وأسفي مللت من وجعي الدائم الرائد

•حالي ، يسألونني عن حالي لتضحكوني بعد حقا إني منهك أكيد

•من حالي هذا صرت منبوذ أسير في دوامة عالم الوعيد

•أنتظر وسأظل أنتظر لعل الأمل يأتي لي بالحلم السعيد

•صرت أرثي لحظاتي وأجسد نوبات فرحي وضحكي والعديد العديد

•من الذكريات التي كنت لها بالسرور أرتوي عصير الحياة لأستعيد

•روحي من هذا الوهن الكئيب أبكي أم أصرخ أو أركض من كابوسي العنيد

•أم أحلق في السماء بين الغيوم ألتقي بالطيور أسافر معها ألحق بالمجيد

•كفاني ، من هذا الوضع الظالم فقط لوقفة أتنحى و أعود من جديد.

الألم الذي كانت تحس به "لينا" أقوى من هذه الكلمات لكن يظل التعبير اللفظي كفيلا بإيصال مدى الوجع والغصة التي مرت بها صاحبة العيون العسلية.

في انتظار أي خبر يطمئن على صحة والداها تدخل "ياكاري" في تلك الأثناء وهي في حالة سكر كارثية

“Open up, you idiot, why did you leave me waiting so long, foolish”

"افتحي ايتها الغبية لماذا تركتني انتظر كل هذه المدة حمقاء " بهذه العبارة وتلك الحالة فاجأت "ياكاري" "لينا"

وكأنما هذا مكان ينقص حفلة الصدمات لتكتمل مع صاحبة العيون العسلية.

لم تسكت "لينا" عن ذلك الوضع وقامت بشجار مع "ياكاري" وطلبت منها المغادرة نهائيا من الغرفة ،حضر الأمن الجامعي بعد سماعهم للضوضاء التي أقامتها "لينا" وبمجرد ولوجهم إلى الغرفة قاموا بإلقاء القبض على "ياكاري" ووضعها خارج الإقامة الجامعية وذلك كان لسببين أولهما لحالتها المخلة بالحياء و ثانيها للفوضى التي تسببت بها وكذا لسود لون بشرتها كما ذكرنا سابقا التميز العنصري دائما كان قائم في المملكة البريطانية على غرار الدول الأوروبية .

غضب عارم جسد على محيا "ياكاري" وتهديدات متكررة كانت تتلفظ بها لما فعلته "لينا" بها ، لم تهتم لها "لينا" أبدا لأن بالها كان مشوش تفكر في العودة للديار لتتفقد أهلها وتطمئن على حالتهما .

حقائب تجمع ، دموع تتساقط، قلب محطم ، تذكرة تقطع تأشيرة عودة للأهل.

****

وصلت "لينا" لمسقط رأسها لترى الفاجعة التي حلت ببيتها جدران محروقة سواد في كل مكان صور العائلة التي كانت تزين الحائط صارت متلفة ، فجات دخلت "نغم" للمنزل تلتف "لينا" لها باكية مرتمية في حضن صديقتها .

لكي تهدأها وتخفف من روعها قائلتا :"لا تحزني يا حبيبتي كل شيء سيعود كما كان وأحسن لا تقلقي بل تشجعي لكي تقفي سندا لوالديك هيا اتبعيني لنحضر لهم الأكل ونأخذه لهما للمستشفى. "

بروح منكسرة وعقل مشوش تغادر "لينا" المنزل مصطحبة "نغم" للإيصال الطعام لذويها في المستشفى ، كان لقاءها معهما مؤلم حقا اختلطت المشاعر بين الحنين والحسرة على عدم وجودها معهما في فاجعتهما تلك .

تتوالى الأيام بين لحظات ألم و اعتماد أمل لتخطي الماضي و التفاؤل بمستقبل جميل .

بسواعد من ذهب وأنامل سحرية استطاعوا ترميم وإعادة بناء المنزل من جديد كما كان بل أحسن مما كان بكثير لاستقبال الأبوين كان ذاك المشهد المكلل بالمحبة والمودة والإنسانية أثار شعور رائع في "لينا" حيث غادرت عائدة لبريطانيا وهي في حالة مفعمة بالأمل السعادة و راحة البال اتجاه والداها اللذان تمنى لها كل النجاح والتوفيق والعودة لهما وهي بالغة طموحها الأكبر.

الفصل الثاني

طفرة

الفصل الثاني: طفرة.

One of the most important reasons for failure in life is that you think that everyone is focused with you and preoccupied with you. Trust me, no one cares.

-Dostoevsky.

سبب من أهم أسباب الفشل في الحياة أن تعتقد أن الجميع يُركز مَعك وينشغل بك ، صدقني لا أحد يهتَم .

— دوستويفسكي.

أن تكمل حياتك من النقطة التي تركتها لسبب من الأسباب أو أن تشكك في أن الكل يحسدك على ما أنت عليه يجعل منك إنسان مهووس بالأنا المطلق صدقني الكل منشغل بحياته لا تتوهم بأنك أنت الوحيد في هذا العالم صحيح أن كل ذي نعمة محسود لكن لا تبالغ في ذلك لأنك ستصاب بالجنون والوسواس القهري لا محالة ، وهذا ما عانت منه صاحبة العيون العسلية.

تقلب صفحة الخسارة والخذلان ، تعاود عجلة الحياة في الدوران من جديد للاستمرار من حيثما تركت "لينا" قبل وقوع حادثة والداها.

سأنتظرك وأجعل قلمي
ينزف كل حبره لأجل حبك
وستكون أنت وحدك من يسكن
دواوين عشقي...
سأنتظرك وسأشعل شموع الشوق
بقلبي وأسامر ذكرياتك الجميلة...

كلمات كهذه كانت دوما تراود "لينا" في إيصال مشاعرها لمن يستحق الحب و الحنان من تتخذه مهد للراحة والاطمئنان سندا لها من ظلم الحياة وقسوة بعض البشر خاصة أنها بعيدة عن أهلها بين دفتي كتاب الغربة .

ذات يوم وبينما كانت تجهز نفسها للذهاب لمحاضرتها تلقت اتصال : "ستنتهين قريبا ....." هذا ما سمعته بعد الإجابة على الهاتف هذه الجملة نخرت عقل "لينا" من التفكير بمن اتصل بها ومن يريدها أن تنتهي عاودت الاتصال مرارا وتكرارا لكن الجهاز مغلق ولا يوجد ، رد كاد الخوف والحيرة أن تقتلها ""ياكاري" لابد من تكون هي " هذه الكلمات التي كانت ترددها وهي في تلك الحالة ، لنرجع للخلف قليلا قبل الحادثة

وقبل رجوعها إلى بلدها قد نشب شجار بين بطلة قصتنا و الطالبة المالية التي طردت من السكن الجامعي اثر ذلك و تهديدها لها بأنها ستنتقم منها هذا ما جعل صاحبة العيون العسلية تكون شبه مؤكدة من أنها هي المتصلة .

ريبة خوف وقلق خالج "لينا" من ذلك الاتصال الغريب أصبحت مشوشة الفكر متوترة جل تفكيرها في ذلك التهديد.

توالت الأيام بين إشراقه شمس و بزوغ قمر مصاحبة لأمل مرتقب لإكسير سعادة يحل مقدما بوادر أمان وسكينة لتناسي نكبات الحياة تحاول معها "لينا" جاهدة للوصول لنجواها ولا يزال الخوف يخيم عليها لكن تحاول إخفاءه بشتى الطرق.

ذات يوم وهي عائدة للإقامة الجامعية التقت بطفلة صغيرة جالسة علي الرصيف وهي تبكي والبرد كان قد غرس كل أنيابه بجسدها من شدته "ما بكي يا حلوتي من الذي أبكى الجميلة هنا !! لا تخافي حبيبتي" بصوت حزين وقلب مرهف على حال الفتاة الصغيرة تتقصى "لينا" السؤال لمعرفة ما الذي دفع بالبرعم البريئة للجلوس في هذا الجو المثلج ، لم تكف تلك الفتاة عن البكاء هذا ما دفع بصاحبة العيون العسلية باحتوائها و إدخالها إلى غرفتها قامت بتحضير لها ما لذ وطاب وأعدت لها حماما ساخنا كي تقوم بتنظيف نفسها بعدما استحمت و أشبعت بطنها نادت "لينا" الفتاة الصغيرة وفتحت لها ذراعاها كي تحتضنها لتنام

معها في بادئ الأمر ترددت الطفلة في الذهاب إليها وبقت جامدة في موضعها لا تحرك ساكنا كأنها تذكرت شيء ما جعلها تسرح بخيالها مفتقدة لذكرى ما ، "ما بكي يا صغيرتي تعالي لتنامي أنت الآن أصبحت رفيقة في السكن و بل أختي الصغيرة التي لم أرزق بها لا تخافي حبيبتي فكلتانا وحيدتان في هذا البلد " هذه كانت كلمات "لينا" للفتاة لكي تدعوها للنوم ، اقتربت ببطيء منها وارتمت في حضنها بدأت "لينا" بقص لها قصة صغيرة ما قبل النوم وسرعا نما غفت في حضنها قبلت لها جبينها متمنية لها أحلاما جميلة كوجهها الملائكي الجميل .

وغرورك الذي طغى على الأرض قلدك وسام الأنانية خولك عبده للتظاهر و التكبر بعيدا عن العفة و الشفافية ترنحي قليلا يا فتاة وكوني للتواضع عنوان ، مهد للأصل في كل ركن من هذا المكان أي مكان بل أي زمان أصبح فيه عمل الخير والتصرف بإنسانية خطيئة يحاسب عليها المجتمع قبل القانون مجتمع فقير لكل مشاعر الطيبة والأخلاق الحميدة عن أي مجتمع تتكلمين عن مجتمع غربي عايشته أم عن بلادة مشاعر توهب لأشخاص مفتقرين لأدنى صفات الإنسانية نعم يا سادة أن تكون صاحب قلب عطوف محب صار أكبر جريمة في حق نفسك قبل الغير . هذا هو الحوار الذي كان يصارع "لينا" في جوفها كل مرة و كل لحظة من لحظات عمرها التي عايشتها وهي تغترف مئات من العقليات وهي في ديار الغربة .

صباح جميل أمل جديد وروح براءة تشغل هذا الصباح ، طاولة فطور تعد موسيقى كمان هادئة تخيم في المكان :

"حلاوة السكر انهضي يا حبيبتي لقد أعددت الفطور هيا " "لينا" تنادي على الفتاة الصغيرة لتستيقظ من أجل أن تتقاسم الفطور معها :"صغيرتي هيا انهضي عزيزتي لقد تأخر الوقت عندي عمل كثير اليوم هيا ما هذا يبدو انك كسولة يا صغيرتي !!" .

ما الذي يدور في ذهنك سيدي ، سيدتي القارئ (ة) تظن أن الفتاة الصغيرة قد وافتها المنية أو أن مكروه حدث لها على رسلك تمهل لا تسرح بخيالك كثيرا وتعطي للقصة مسار أخر لازلنا في البداية ولازالت أحداثنا تطهى على نيران أفران عاتية .

تستيقظ الفتاة بعد صيحات متتالية من "لينا" تخاطبها متعجبة من سبب تأخرها :" لماذا لم تنهض باكرا وعند سماعي أناديك ما الذي يحدث معك أهناك خطب ما !!" لم تجب الفتاة بكلمة واحدة وتذهب مباشرة للجلوس على طاولة الفطور، استغربت لحالها صاحبة العيون العسلية وبينما هي في حالة استغرابها تتأرجح على ضفاف الشك والريبة فجأة ومن دون سابق إنذار يخلع باب الغرفة من قبل مجموعة من الرجال المسلحين مقنعين مخيفين للناضرين عبارة واحدة كانوا يرددوها منذ ولوجهم :

"Raise your hands or we will kill you"

"ارفعوا أيديكم وإلا سنقتلكم"، عذر وهلع أصاب "لينا" لم تستطيع تحريكا ساكنا فقط كانت تبحث عن الفتاة الصغيرة لكي تحميها وتوقعوا ما الذي حدث؟ تتذكرون معي "يا كاري" الطالبة المالية التي كانت رفيقة "لينا" بالسكن التي طردت منه وكانت قد وعدت "لينا" بانتقام جارح لي ما حدث لها ، لا لم تتحول لي فتاة صغيرة كما سيصور لكم بل هي من كانت سبب في هجوم أكبر عصابة مافيا في لندن على الإقامة الجامعية التي تسكن فيها صاحبة العيون العسلية .

"سينالوا" من أخطر عصابات المافيا التي تستولي على عاصمة الضباب لندن أصل هذه العصابة من المكسيك إيرادات هذه العصابة تقارب ثلاثة مليارات دولار، وهي أكبر عصابات المخدرات المكسيكية، والأخطر في أمريكا اللاتينية. وهي واحدة من المنظمات التي تعمل وسيطا بين منتجي المخدرات في أمريكا الجنوبية وسوق الولايات المتحدة وأوروبا .

وتشير بعض التقارير إلى أن الأمريكيين ينفقون حوالي 100 مليار $ سنويا على المخدرات، نحو 6.5 مليارات منها يذهب إلى العصابات المكسيكية، التي تحتل حوالي 60 بالمئة من السوق.

وعلى الرغم من سجن قائدها، إلا أن هذه المجموعة تفادت حمام الدم والاقتتال الداخلي على الإرث وضياع المنظمة، كما يحصل عادة بعد موت قادتها أو تصفيتهم (موقع فلسطين اليوم)،هذه

العصابة كان لي الطالبة المالية تعاملات كثيرة معها حيث أنها كانت تروج لكل أنواع المخدرات وسط جموع الطلبة في الجامعة وكانت تعتبر عضوا هام فيها هذا ما جعل كلامها أوامر بالنسبة لهم وأي أحد يدوس على طرفها تكون نهايته الموت لا محالة ،

نعود للحظة الجمود والذهول التي أصابت "لينا" و هلعها تفقدا لحال الفتاة الصغيرة التي اختفت بمجرد سطو المافيا، يا ترى أين ذهبت وما سبب اختفائها المفاجئ.

عندما اكتب لكي همساتي،
أعلم مدى جهلي ،
ونقص عقلي ،

تفاصيل على المحك ،

وأساطير تنتظر السرد ،

لواقع خيانة يخط ،

الثقة دوما سبب لمشاكلي ،

وطيبة قلبي تؤذي نفسي ،

كما جرت العادة خذلان ،

جديد ووجع راجع لي أكيد.

دوما ثقتك يا "لينا" كانت سببا دائما لكي في أوجاعك ونكباتك المتكررة لم تتعلمي الدرس مرارا وتكرارا نفس الزلات والهفوات تقعين فيها أين المفر من الحالة التي وصلتي لها الآن ، هل ستنجين من الورطة التي وقعتي فيها هل ستنجين من أكبر عصابة تهدد لندن بأكملها ؟

****

متعبة كموسيقى هادئة يعزفها رجل توفت زوجته.. متعبة من زمن خائن لعبير روح قلب ساكن بعيدا عن ضوضاء ترهات هذا العالم الغريب المعالم.

لحظة ، لوهلة تداركت بطلة قصتنا خوفها القاتم واستعادت روحها من زفير الهلع :"من أنتم وماذا تريدون مني لماذا أنا بالذات؟" .

"قلت لكي أصمتي وإلا سأقتلك هيا ". رئيس العصابة يهدد "لينا" بالقتل محاولا إسكاتها وكله غضب منها .

"How are you stupid? I thought you would get rid of me easily. I said that you would come back and regret it."

"كيف حالك أيتها الغبية ؟ ظننت أنكي سوف تتخلصين مني بسهولة قلت لكي بأني سوف أعود وتندمين" .

توقعوا من القائل ، نعم يا سادة لقد عادت "يا كاري " وكلها انتقام من صاحبة العيون العسلية لقد عادت لإخماد نيران قلبها التي أوقدت فيها منذ يوم طردت من الغرفة والتي كانت بسبب "لينا" من غير قصدها ، ذهول و هلع أصابا "لينا" لم تكن تتوقع كل هذا الحقد والغل من طرف رفيقتها في السكن الجامعي سابقا لما كل هذا الحقد لما ؟ هذا التساؤل الوحيد الذي كان يتبادر في ذهن بطلة قصتنا .

حريق مهول ، صراخ و صيحات خوف ورببة ، وسط الجموع رجال الإطفاء والشرطة يقيدونا المكان إقامة "أي كيواليس هاوس" تحترق ، كيف حدث هذا ومتى؟ لنرجع إلى الخلف قليلا للحظة التي دخلت فيها الطالبة المالية و استعراضها لانتقامها المثير رفقة عصابة "سينالوا"، بينما كانت "يا كاري " تتغنى بانتقامها الجلي ، تظهر الفتاة الصغيرة من أسفل الطاولة التي كانت قد حضرتها "لينا" للفطور وهي كلها ذعر مسرعة لحضن "لينا" خوفا من صوت الرصاص الذي كان قد أطلق لتخويف صاحبة العيون العسلية مقلبة بذلك غطاء الطاولة لتقع تلك الشموع الجميلة على الغطاء ، مسببة بذلك نيران أصابت أسلاك الكهرباء محدثة حريق مهول في كل طابق الإقامة الجامعية .

ذاك الحريق كان ذريعة مثلى في نجاة كل من صاحبة العيون العسلية والفتاة الصغيرة من مخالب عصابة المافيا و جنون المدعوة "يا كاري".

صحيح أن "لينا" ستبقى فترة من دون مأوى وقد تلجئ إلى الطرقات التي تعتبر ملاذ للمتشردين في عاصمة الضباب ، قد تتداعى مكانتها كونها طالبة بأحد أعرق الجامعات في العالم جامعة "أكسفورد" و من منا لا يعرف هذه الجامعة ، جامعة "أكسفورد" بالإنجليزية ،

The University of Oxford باللاتينية ،

Universitas Oxoniensis : تعدّ أقدم جامعة في العالم الغربي المتحدث بالإنجليزية ، وأقدم جامعات_بريطانيا_السبع العتيقة ، ومن خيرة ورابع أفضل جامعات العالم والجامعة الأولى في المملكة_المتحدة على مؤشر تايم للجامعات لعام 2011-2012. وتقع الجامعة في مدينة أكسفورد في إنجلترا.

“Be strong, make them wonder how you still smile”.

"كن قوياً ، واجعلهم يتساءلون كيف لا تزال تبتسم".

هذا ما كان عليها القيام به الاتصاف بالقوة دوما ، حتى في لحظات انكسارك وخيبتك المتكررة حتى وان جار عليك الزمن وصرت حطام بعد نيران قد كنت أنت موقدها بانتصاراتك التي أبهرت الجميع وجعلت منك محط كل الأنظار و الحسد ابتسم واجعلهم يأكلون أصابعهم غبطة وندم لأنهم أرادوا أن يحطموك وفكروا في استصغارك .

بعد ما حدث مع صاحبة العيون العسلية من أحداث جنونية في تلك الإقامة الجامعية ، قررت مغادرتها والبحث عن مكان أخر للجوء إليه بعيدا عن أسوار الخوف الدائم ومسلسل الانتقام التي كانت بطلته "يا كاري" التي كانت قد اختفت مع ذاك الحريق المروع.

"سامحينا لم يعد لكي مكان معنا نتمنى لكي حظ موفق ، لا تنسي أن تنهي كل الإجراءات قبل مغادرتك. " رئيس الجامعة يستدعي صاحبة العيون العسلية كي يزف لها خبر طردها من حلم حياتها خبر نزل كالصاعقة عليها كيف ولما ؟ ، هكذا هي الأزمات تحل دفعة واحدة .

تخرج "لينا" من المكتب وعيونها مملوءة بالدموع حسرة على الحال التي وصلت إليه وهي غارقة في أحزانها ، تلتقي بالأستاذ الذي ازدر منها في أول محاضرة حضرتها وعنصريته التي كانت جلية اتجاهها ناضرا لها بنظرة محتقرة مستغليا الموقف الذي وقعت فيه ، ما إن لمحته "لينا" حتى غيرت من موقفها الذليل لتنظر له وهي كلها أمل على أنها ستعود كما كانت بل و أحسن مما كانت عليه .

" Some see you as stupid ... and they do not know that you are treating him with despondency that befits him "

"يراك البعض غبيا...وهو لا يعلم أنك تعامله باستغباء يليق به".

ترفع الصحف مجففة بذلك حبر الأقلام لنهاية محطة من مسار قد انشق سابقا لبداية جديدة تحظر على موقد حمم بركانية تتلهف للعودة من جديد كسابق العهد بل و أفضل من ذلك .

****

الفصل الثالث

بلا عنوان

الفصل الثالث: بلا عنوان .

أن تكون يقين بما يدور من حولك ولكن تتوهم الاهتمام ممن خانوك تستعطف أواصر المحبة والمودة على رغم من ذلك تتعرض للكدمات واللكمات في كل مرة ، مع ذلك لازلنا نكابر ونكافح من أجل الاستمرار في خوض مغامرة دوامة الحياة.

ضجيج سيارات ، زحمة في السير، جو بارد ، أمطار تتساقط ، مع نغم تساقط دموع "لينا" الحزينة على حالها البليد.

" ما الذي يبكيك يا صاحبة العيون العسلية ؟ هل أزعجتك أو كنت سبب في معاناتك؟ أخبريني لقد فطرت دموعك قلبي وشلت نظراتك حالتي لم أجد أي حل لإعادة بهجتك. " بحسرة وأسى تخاطب الفتاة الصغيرة "لينا" تتقصى بذلك إن كان وجودها سبب تعاستها وكآبة حالتها التي يدمع الحجر عند رؤيتها وتسود السماء غيوما محملة أمطارا باكية لما حدث مع "لينا" ، ترد صاحبة العيون العسلية : "لا بتاتا بل أنت بصيص أملي ومصدر بسمتي حتى إن تغير عليا الحال و انتفضت لعالم المحال فستبقي معي ، إني أحسك قطعة من روحي يا صغيرتي على الرغم من أننا التقينا حديثا ومع تسارع الأحداث التي جرت معنا لكن لقد ولجتي قلبي من أوسع باب ، بما أننا جالسان على حافة هذا

الرصيف لما لا تخبريني عن نفسك قليلا كاسمك ما هو ؟ و من أين أتيت ؟ حدثيني غاليتي لعلي أعثر على عائلتك و ألاقيك بهم ".

تجيب الفتاة الصغيرة وهي مطأطئة رأسها " إن أخبرتك يا صاحبة العيون العسلية عديني أنك لن تنزعجي مني ولن تتركنني ، عديني أولا سيدتي . " تتعجب "لينا" من كلامها هذا الذي أثار في نفسها الدهشة والغرابة قائلة "تكلمي صغيرتي أرجوك ،أعدك بأني سأتفهم موقفك هيا تكلمي".

ما الذي يدور في ذهنك عزيزي ، عزيزتي القارئ(ة) تخمن في من تكون هذه الفتاة الصغيرة ، تخمن إن كانت عدوة لها أم صديقة ، لا تشغل بالك بالتفكير الطويل إليك الرد لازلت تتذكر معي كيف التقت "لينا" بالفتاة الصغيرة حسنا ، لنكمل إذا الفتاة الصغيرة تكون ابنة ذاك الأستاذ الذي قام بإخراجها من أول محاضرة لها والذي ازدر منها بسبب حجابها وإسلامها هو نفسه من التقت به أمام مكتب المدير و نظراته الساخرة منها التي لازالت عالقة في ذهنها ، نعم هي ابنته هذا ما كانت قد أخبرت به الفتاة "لينا" تعريفا عن حالها لها.

بدهشة واستغراب كبير تسأل صاحبة العيون العسلية :"ولكن لما أنا لماذا قدمت إلي ولما لم تخبريني فورما التقيت بك خارج

الإقامة اه يا الله ، ما الذي يحدث معي كيف سأتخلص من كل هذا العناء أنت تعلمين من يكون أباك بالنسبة لي؟ هو أكثر شخص أود أن أمحوه من الوجود هو من كان سبب في ازدراء الكل مني ونظراته التي تنبث بالعنصرية تلك أنا لا أنساها ، أخبريني كيف قدمت إلي ؟ الحقيقة كاملة من فظلك ".

مرتجفة ، خائفة و الحسرة تواكب أقاويلها هكذا كانت الفتاة الصغيرة وهي تحدثها عن كيفية لحاقها بها من اليوم الذي طردت فيه من المحاضرة ختاما بالحادث الذي حصل معهم و سماعها لانتقام "يا كاري" ، وهي في الحانة كيف كانت تخطط له ، قف للحظة عزيزي القارئ أيا كنت شابا أو شابة شيخا أو كهلا أو حتى طفلا قف قليلا ، أعلم بأن عقلك قد تشوش من كثرة تسارع الأحداث قليلا ، قم بشرب قليل من قهوتك الساخنة ، أكملتها حسنا لنكمل سير الأحداث .

الاسم : إميلي

الكنية :باركر

العمر : عشر سنوات

السنة الدراسية : صف خامس ابتدائي .

الحالة الاجتماعية والعائلية : من أب بريطاني و أم عربية من أصول فلسطينية.

هذا مجمل تعريف "إميلي" عن نفسها لصاحبة العيون العسلية ، نعم ل " إميلي" أصول عربية فلسطينية هذا ما جعل قلب "لينا" يزداد تعلقا بها بحكم أنها عربية مثلها جزائرية الأصل والمربى ، كما يعلم الجميع أن فلسطين هي الطفلة المدللة بالنسبة للجزائريين ودعمهم للقدس المحتلة كان دوما شعارهم على طول المدى ، صحيح معرفتها لنسبها من أمها كان قد شفع لها عند "لينا" مكملة الاستماع لها .

"تتذكرين اليوم الذي طردتي فيه من محاضرة والدي يا سيدتي لقد كنت هناك أجلس في الخلف في المدرجات الخلفية مراقبة ما حدث معك وكلي حسرة عليك ، "إميلي" تواصل سرد الأحداث ل"لينا" :"كان ذلك اليوم يوم لقائي بأبي فأنا ألتقي به يومان في الأسبوع كما قررت المحكمة بحكم أنا حضانتي تعود لأمي .. " توقف "لينا" الحديث قائلتا :"أتقصدين بأن والداك منفصلان ، لقد أحزنتني صغيرتي جدا أكملي حبيبتي أكملي ."

تكمل "إميلي" القصة تقول فيها بأنها انزعجت من تصرف والدها و قسوته اتجاه "لينا" حيث أنه ذكرها بالضرب المبرح

الذي كان يضرب والدتها به و قسوته عليها خاصة وأنها كانت مسلمة هي أيضا .

أعلم إني قد أدخلتك في دوامة ، أعلم ستتوقف عزيزي القارئ تستغرب التناقض العظيم الحاصل هنا ، السيد "باركر" والد"إميلي" يكن عداء كبير للإسلام والعرب ولكن لماذا تزوج من عربية مسلمة إذن؟

الحب ، نعم الحب سبب ذلك، لقاء السيد "باركر " بالسيدة "أريحا" ("أريحا" اسم فلسطيني يطلق عادة على بنات الفلسطينيات ، وهذا الاسم يعرف بمدينة القمر في المعنى العربي الأصيل .) في المستشفى وإشرافها على معالجته حين كان في غيبوبته بعد حادث السير الذي كان قد تعرض له ، قبل خمسة عشر سنة حيث كانت الممرضة المسئولة عن تمريضه ، من هنا بدأت قصة غرامهما و تحديهما لعائلتهما بعقد قرانهما فورا بعد تعافيه وخروجه من المستشفى ، هذا الزواج التي كانت " إميلي" بذرته، لكن لسوء الحظ لم يكتمل هذا الزواج لينتهي بالطلاق بعد أربع سنوات من ذلك وسبب الطلاق هو رجوع السيد "باركر" إلى ديانته ، لم يستطع تحمل مفارقته لعائلته لذلك ارتد هذا هو السبب الرئيسي لعدائه للإسلام ، حيث اعتبر لقاءه بالسيدة "أريحا" وحبه لها جريمة عوقب عليها من قبل أهله ، لأنه اختارها و اختار بأن ينسب إلى ديانتها كي يتسنى له الزواج منها

لأن دين الإسلام يوجب على المرأة خاصة أن تتزوج برجل مسلم مثلها وإلا ستعتبر زانية إن لم تفعل ذلك.

كانت "لينا" تستمع لكلام " إميلي" وهي تجهش بالبكاء تحسرا على ما سردته الفتاة الصغيرة من وقائع أحداث عايشتها ، لتكمل قائلة "أما عن لحاقي بكي فقد كان ذاك اليوم سيئا جدا لقد التقيت بأبي و كعادته نزل قياما وجلوسا في شتمي أمي وازدراءه منها هذا ما جعلني أوقفه عن الكلام صارخة في وجهه بأنها أمي ولا يحق لك بأن تقلل من مكانتها أمامي ، لم أكمل كلامي معه حتى يصفعني صفعة لم يوجعني ألمها بقدر ما أوجعني الموقف ، لكن سرعا نما تدارك موقفه ليطلب السماح مني لكن لم أتكلم معه وغادرت مسرعتا مع سائق سيارة أمي إلى المنزل باكية..."

تصمت الفتاة وتغرق في شلال بكاء ، تحاول "لينا" تهدئتها قائلة :" لا تبكي يا قطعة السكر هدئي من روعك لا بأس هذه المواقف تحدث عادة أنا أيضا صفعني أبي ذات مرة ،لا يا حبيبتي لا تبكي تعالي إلى حضني" .

محاولة تهدئتها قليلا ، تقاطعها الصغيرة قائلتا : " المشكلة لم تنتهي هنا يا صاحبة العيون العسلية فبجرد دخولي للمنزل وجدت أمي و جدي ، جدتي وكل العائلة الكريمة قد اجتمعوا لحضور خطبة والدتي بزميل لها في العمل ، أمي تتزوج و أنا اخر من

يعلم هذا ما قهرني أكثر، بعد ما شاهدت ذلك الموقف تسحبت إلى غرفتي من دون علم أحد جمعت حقيبتي الصغيرة و خرجت في منتصف الليل. "

"لكن ألم يعلم أحد باختفائك ألم يسألوا عنك و أين ذهبت في ذلك اليوم أ كان يوم خروجك هو نفس يوم لقائي بك ؟" "لينا" تسأل و كلها تعجب و استفهام ، تجيبها "إميلي " :"بينما وأنا أمشي في الطريق تصادفت مع رجال شرطة يطاردون فتاة ، اصطدمت بها و ما إن صدمتني حتى فاجأتني بحملها لي قائلة ادَّعي بأني أمكي هيا وإلا سيلقي عليا القبض ، من كثرة الدهشة رضخت لطلبها وفعلت ما طلبته مني وبذلك موهنا الشرطي و تخلصت منه شكرتني على ذلك و سألتني عن اسمي ما أن علمت باسمي

" إميلي باركر" سألتني إن كان والدي السيد "وليام باركر " قلت لها نعم قالت لي بأنه أستاذها بالجامعة و عليها بأن تعيدني له لأنها ظنَّت بأني قد ضعت .." توقفها

صاحبة العيون العسلية قائلة :"هل تخبريني ما اسم هذه الفتاة ؟ لعلي أعرفها ".

""يا كاري " اسمها "يا كاري" هي فتاة سوداء البشرة....." توقف "لينا"مجددا الفتاة الصغيرة لتخاطب نفسها بصوت مسموع "ما هذا ما الذي يحدث "يا كاري" مجددا ترى ما كل هذه

الصدف التي تتوالى معي الواحدة تلوى الأخرى غريب ، انه لشيء غريب حقا ".

الصدف التي كانت تحدث مع صاحبة العيون العسلية لم تكن إلاً تمهيدا لما هو أسوء ، لأنها ستكون على لقاء بما هو أغرب و أبشع مما حدث لها فهل ستنجو من القادم هل ستستطيع إكمال رحلتها في عاصمة الضباب أو أنها ستتحول إلى ضباب وسراب من كثرة العوائق التي ستحدث معها ، لا داعي عزيزي القارئ للإسراع في معرفة النهاية تمهل و احتسي كوبا أخر من قهوتك الساخنة لأن القصة لازالت مليئة بالأحداث الشيقة .

"life is just a game that we have to play, whether it is sweet or bitter"

"الحياة مجرد لعبة علينا أن نلعبها سواء كانت حلوة أو مرة".

بغياب شمس ذاك اليوم الذي كان شاهدا على توطد العلاقة بين "لينا" و "إميلي" ، أشرقت بادرة شمس جديدة موحية ليوم جديد ستعيشه بطلة قصتنا وكيفية تأهبها له لمواجهة مشقة العيش من غير مأوى وفي مدينة ك"لندن" أمر صعب بل صعب جدا .

قطرات من المطر ، رياح تعصف صرير مخيف ، جو بارد ، هكذا استقبلت "لينا" يومها شعورها بالبرد وهي تجول من مكان

إلى أخر للبحث عن عمل و استعطافها للمارة أن يستضيفوا الفتاة الصغيرة لكي تحميها من مشقة العيش معها أحسسها بخذلان كبير حيث أنها كانت تقابل إلاّ بالرفض في كل مقابلات العمل التي كانت تذهب إليها هذا ما جعلها تصاب بخيبة أمل و حسرة على حالها وحال الفتاة الصغيرة التي اعتبرتها أمانة عندها مكلفة بحمايتها ، هذه المسؤولية ولدت في نفسها الشك والريبة مما ستؤدي بها إلى ما لا يحمد عقباه.

همس على همس ، دقة بدقة ، روح الروح ، سلامة القلب ، من الحزن والجروح ، أسى غبطة وحسرة تطارد الروح سرحان طول الوقت ، هذا بالضبط بل على أقل تقدير ما كانت تعاني منه صاحبة العيون العسلية ، ظلم الحياة لها أثقل كاهلها ، دمرها تدمير ، أسرها ضمن دوامة التعسف والتنكيل.

تتابع "لينا" و "إميلي" سير مسارهما الشاق والمليء بالمحن والمشكلات من كل صب ونحو ، و رغم كل الظروف تظل الابتسامة على محي صاحبة العيون العسلية لا تفارقها أبدا طامعة في أمل قادم من قريب لا من بعيد .

غرفة واحدة ، سرير واحد ، مصباح صغير يضيء ضوء خفيف ، مكان موحش ليلا هادئ نهارا ، هكذا كان المأوى الجديد الذي اجتمعت فيه كل من صاحبة العيون العسلية والصغيرة "إميلي"

،"هيا صغيرتي ساعدني في تنظيف الغرفة لا يزال أمامي تحضير الفطائر لبيعها غدا صباحا .." "لينا" تتجاذب أطراف الحديث مع "إميلي".

نعم بياعة بسطة من طالبة هندسة ، الأولى على الدفعة صاحبة الترقية لمكتب إدارة دراسات ، إلى بياعة فطائر على أرصفة مدينة الضباب "لندن" .

والله انه لشيء تذرف الدموع دما له ، قسوة الحياة أحيانا تجعل منا نمتهن أيتها مهنة لجلب قوة اليوم خاصة عندما يكون مكان عيشك مدينة بحجم "لندن".

"You don't know how strong you are until yours is your only option."

"أنت لَا تعرف مدى قوتك حتى تصبح قوتك هي خيارك الوحيد."

لابد على الإنسان أحيانا أن يدرك بان قوته في مواجهة الحياة وعزيمته على تحدي الصعاب هي خياره الوحيد ، للمقاومة حتى التحدي الأخير من عمره .

صباحا باكر ، جو مثلج ، فطائر ساخنة ، جموع من الحشد في انتظار تذوق طعم تلك الفطائر الرائعة ، هكذا استقبلت صاحبة العيون العسلية نهارها كد وعمل ، لحصد ثمرة جهدها الحلال بدراهم معدودة كي توفر مطالب الحياة للاستمرار بالعيش .

ذات ليلة وهي عائدة لمنزلها مرت على متجر ألعاب صغير ، اشترت منه لعبة صغيرة كي تفرح بها قلب "إميلي" بعد جهد يوم كامل أرادت أن تفرح قليلا مع صغيرتها ورفيقتها في السكن ، وبينما هي عائدة نست طريق العودة ودخلت في طريق غريب يطل على غابة مخيفة .

"أين أنا ما هذه الغابة !! أين أنا ؟ كيف ضيَّعت طريق العودة ؟ يا لا هذه الورطة التي أوقعت نفسي فيها كأنني أفتقر للمشاكل والمصائب ، يا الله أخرجني من هذا الطريق يا رب." "لينا" تحاور نفسها وهي في حالة ذعر وهلع من الورطة التي وقعت فيها ، هل ستنجو صاحبة العيون العسلية من هذه الدوامة ؟

هذا السؤال الذي سيحدث الفارق في حكاية "لينا" ويعقد الأمور أكثر فأكثر ، لا داعي لحرق الأحداث من الآن يا عزيزي القارئ استرخي وجهز نفسك للإبحار معي في جملة من القصص الغريبة والمثيرة التي حدثت مع بطلة قصتنا .

How can a person be full of dreams, and suddenly his heart becomes a graveyard, where is everything gone.

—Nikos Kazantzakis.

كيف يكون الإنسان مليئا بالأحلام، وفجأة يصبح قلبه مقبرة، أين ذهب كل شيء.

—نيكوس كازانتزاكيس

هكذا هي الحياة نطفو بأحلامنا عاليا على سطح سنينا القادمة متأملين الأفضل وفي برهة ولحظة من الزمن يتغير كل شيء ، "لينا" كانت المثال الحي على تلاشي الأحلام بمجرد غفوة منام انقلب السحر على الساحر وتغير الحال إلى صعب محال ، صارت تتأرجح بين ضلال تلك الغابة المخيفة ، وبينما كانت تسامر الحلول لإيجاد حل للخروج من هذه الورطة انسدلت منها وريقات التعب والحسرة مما أدى بها للجلوس على ضفة نهر مراقبة للنجوم المتلألئة في السماء ، التي كانت تحاكي سيمفونية في منتهى الروعة والجمال ، سرحت قليلا في ذلك المنظر الخرافي وبينما كانت منغمسة في بحر خيالها حتى لمحت من بعيد طيف شخص قادم من وسط السراب المخيف في ظلمة

الليل وسكون العتمة المثير ، قادما صوبها تماما ، من هو من هذا الشخص أ سيمد لها يد العون و يخرجها من الغابة المخيفة ؟

هـل أنت حلـمٌ أم طيـــفٌ

أم أنكِ بعـــــضُ خرافاتي

هـــــل أغفو بعينيك قليلا

أم أشقـى بطـول عذاباتي

فـقد كان خـيـالكِ سـرابـاً

يغشاني دوماً ليلا بسبـــــاتي.

كلام مقفى موزون و منمق يحاكي قصة حب عفيف طاهر أسرت عقل صاحبة العيون العسلية ، لمن هذا الحب ومن صاحب الحظ الذي أوقع بطلة قصتنا في غرامه ؟ خمنت أم لازلت تفك سر سراب الشخص الذي التقت به في الغابة ، معك حق ترى من ذلك الشخص ، استفهام عظيم حقا.

"مرحبا ، أيمكنك أن تدلني عن مخرج قريب من هذه الغابة لقد أضعت طريقي وأنا عائدة لمنزلي ..... " "لينا" تخاطب الشخص الذي قدم إليها ، لا كلام ولا حتى سلام سكوت يخيم على المكان، ما من جواب على سؤال صاحبة العيون العسلية فقط مجرد تحديق غريب نضرات مريبة .

" ا عفوا منك ، سأدلك على الطريق اتبعيني...." و أخيرا نطقت تلك الجوهرة و انحلت عقدة لسانه هكذا أجابها طالبا منها اللحاق به ، ليدلها على المخرج .

لقد كان طويل القامة حنطي البشرة ، وجهه مكتسي بلحية سوداء ، وعينان زرق بزرقة البحر عن من أتكلم ؟ عن الشخص الذي التقت به أتحدث ، تمشي و الريبة تتخللها شعور غريب يخالج قلبها ، يا ترى ما سبب كل ذلك !!

"عفوا ، هل لك أن تعرفني عن حالك ما اسمك كي يتسنى لي شكرك ، ونتجاذب بعض أطراف الحديث ، لأنني أحس بأن الطريق لا يزال طويل .." "لينا" تحاول أن تغير من حالة الريبة التي كانت تراودها .

"ها قد وصلنا ، الطريق أمامك الآن يمكنك العودة إلى الديار بسلام ."

اندهشت صاحبة العيون العسلية من رده ، وما إن أدارت وجهها لكي تشكره بعد مشاهدتها لطريق الخروج ، وإذ به يختفي وكأن شيء لم يكن استغربت "لينا" من اختفاءه المفاجئ وشعرت بالخوف قليلا لكن سرعا نما تغير الوضع بعد تلقيها لاتصال هاتفي على الجوال ، "ألو من معي ...." تجيب "لينا"

"السيد باركر معك عودي إلى المنزل حالا " .

نعم لقد التقت "إميلي" بوالدها بعد مرور شهر كامل على حادثة اختفاءها ، وكان مقر لقائهما السوبر ماركت ، حيث كانت "إميلي" قد خرجت لتشتري الخبز كي تتعشى هي و "لينا" بعد عودتها ، أي أن يوم لقاء "إميلي" بوالدها هو نفسه اليوم الذي ضاعت فيه "لينا" في الغابة.

"من فضلك ، أعطيني أربع قطع من الخبز الفرنسي ، كم ثمنها ؟ ..." . "إميلي" .

"لا داعي , يا صغيرة فقد دُفع ثمنها ..." "البائع".

" ها ومن قام بذلك ؟""إميلي" .

"أنا ، يا بنيتي ..." "السيد باركر " (والد "إميلي").

"أبي ... لكن كيف عثرت علي ؟" "إميلي" تستغرب من لقاءها بوالدها .

لقد كان كل ذلك بمحض الصدفة فقد كان "السيد باركر" ذاهب كعادته للعمل ، بعدما كان قد زرع الأرض قمحا وهوا يبحث عن ابنته ، لقد كانت حالته محزنة حقا ، كأنه رجلا وافته المنية و الحياة تحاول إعادته لسرب مواصلة سيرها رغما عنه ، كما قلت سابقا مجرد صدفة أعادت شمل الأب وأبنته ، علبة سجائر أصلحت الوضع و أدخلت البهجة مجددا لقلب "السيد باركر".

نعم توقف عند ذلك السوبر ماركت لشراء علبة من السيجارة للتدخين وحرق روحه البالية بفقدانه لابنته ، وإذ به يلمح فتاة صغيرة تحمل مطاريه مرتدية رداء وردي ، وكان ذاك الرداء نفسه هو من اشتراه في عيد ميلادها العاشر ، نزل من السيارة مسرعا خلفها وبذلك حصل اللقاء .

اللقاء الذي أحَدث نقطة تحول في حياة صاحبة العيون العسلية و أقلب موازين سير حياتها من جديد .

الفصل الرابع

الحنين

الفصل الرابع : الحنين .

وحدة ما الذي يقتلني ، ينبذني

شعور كاسح ،مظلم فاضح

يحبطوني دائما يراودني

يسألوني لأتهرب من دنياي

أسافر كي أذهب وأتغرب

يبعدني عن أهلي وأحباء

ينصحني بالهجر رفقة أعداء

أين المفر من هذا المقر ؟!

إني أطلب النجدة مللت شعور الوحدة .

تظل العائلة هي الحجر الأساس في حياة كل شخص منا فمهما اختلفت الأزمان وتغيرت الأماكن ، وجودهم لنا له دور كبير جدا ، حقيقة تصادق على مصداقيتها "لينا" ، لقاء "إميلي" بوالدها "السيد باركر " كان لها المثال الأكبر على ذلك ، حيث بمجرد عودتها للمنزل بعد تلقيها الاتصال منه ، قابلها بالاعتذار عن كل ما بدر منه وشكرها على اعتناءها لابنته ، وبذلك تنتهي رحلة "إميلي" مع "لينا" مودعة إياها رفقة والدها متمنية لها التوفيق في حياتها .

ابدأ من حيث استطعت أن تحملك قدماك ،
لا تقل تأخرت ولكن كانت هذه هي البداية
أحيانا أضحك من أعماق قلبي ثم فجأة ألملم ضحكتي دون أن أنتبه للآخرين .. أدرك جيدا حينها أنني تذكرت خيبة ما في غمرة .. ضحكتي ،
تؤسفني فكرة رؤيتي لشخص يفتقد لـ الحب و السند لكنه يمنحهما لـ غيره بـكل صدق و كأنه يعتذر لـ نفسه عن عدم وجود من .. يسنده في عز ضعفه ،
تؤسفني فكرة أن أرى أحدهم يقاوم من أجل مستقبله و تحقيق أمنياته و يستمر بـالكفاح لكن الحياة في كل مرة..تضعه في خانة الفشل ،

تؤسفني فكرة أن هناك علاقة ما ستنتهي بعد عشرة دامت لـ سنوات..لمجرد سوء تفاهم تافه ،

تؤسفني فكرة أن كل شيء قابل لـ الزوال ،

تؤسفني فكرة الإساءة لـ سمعة فتاة مظلومة .. أو قهر رجل .. تراكمت في قلبه هموم الدنيا حتى استعمره الوهن و اليأس ،
تؤسفني فكرة أن للبعد ألف طريقة لكن كل الطرق تؤدي إلى فراق أحب الأشياء إلى قلوبنا الفرق في العناوين .. و النهاية واحدة ؟..

يبدوا أن صاحبة العيون العسلية أصبحت تتماشى مع الوضع الحالي ، بمغادرة "إميلي" رجعت "لينا" وحيدة مرة أخرى .

جهد يبذل ، ابتسامة مصطنعة ، عمل مستمر ، أثار التعب ظاهرة على الوجه ، هكذا "لينا" تستقبل يومها للاستمرار في خوض غمار هذه المعركة ، معركة الصراع للعيش في مدينة الضباب .

" هل هذه الفطائر لذيذة وحلوة المذاق ، كصاحبتها .." تجيب "لينا" السائل : "تذوقها وان لم تعجبك فلا تدفع ثمنها اعتبرها عرض أولي .." جوابها ذاك كان من دون رؤية السائل أجابته وهي منهمكة في تحضيرها ، وما إن رفعت عيناها حتى ترى السائل وإذ بها تتفاجئ لقد كان نفسه الشخص الذي قام بمساعدتها للخروج من الغابة .

"ا انه أنت ، مرحبا بك لقد بحثت عنك حينما ذهبت يومها ولكن لم أجدك وددت أن أشكرك .." هكذا كانت ردت فعل "لينا" بمجرد رؤيتها له, أجابها ، ضاحكا :"لقد كنت على عجلة من أمري لذلك ذهبت مسرعا ، على كل حال مرة أخرى نلتقي عليا الذهاب الآن على فكرة فطائرك لذيذة حقا " .

"لما أنت ذاهب ، بهذه السرعة عرفني عن اسمك فقط .." "لينا" تسأل "سراب ، أنا مجرد سراب ، دعي الأيام القادمة تعرفك علي .." الشاب يجيب .

المَرأة توجد مرَّةً واحدة في عمر الرَّجل، وكذلِك الرَّجل في عمر المرْأة، وعدَا ذلِك ليس إلاَّ محاولات للتَّعويض.

غسان كنفاني

عادة ما يصادف الإنسان شخص يغير مجرى حياته ، يضيف نكهة وطعم أخر لها ، الحب شعور جميل والأجمل عيشه مع شخص يستحق ذلك ، مبدأ يمشي عليه ذوي العقول الراجحة ومن بينهم "لينا" لأن صاحبة العيون العسلية حذرة جدا بخصوص هذا الموضوع ، فلا قلب يوهب لملاذ خاوي الوفاض من روح ارتأت عن تحمل التضحية من دون مقابل .

ذات ليلة من ليالي الشتاء الباردة ، سرحت بطلة قصتنا في الحالة التي وصلت لها، الحالة التي أودت بها لعدم إمكانيتها حتى من الاتصال ب والداها للاطمئنان عليهما ، وكل هذا بسبب الخجل من أن تخبرهما أن ابنتهما التي كانت بمثابة فخر واعتزاز لهما أصبحت بائعة فطائر ، أين حلمها في تحقيق شهادة الهندسة والعودة لهما لتفرح قلبيهما ؟ هذا السؤال الذي أثقل كاهل تفكير "لينا" فهل ستنجو من الوضع التي رست عليه باخرة أحلامها عنده ، أم أنها ستقلع من جديد من يدري لعل أبواب الفرج ستفتح من أوسع باب .

فوضى تعم المكان ، ملابس مرمية على الأرض ، جو ماطر ،

"لينا" تعاني مرض الزكام ، سبب الفوضى كان مرض صاحبة العيون العسلية لقد أهملت نفسها كثير في الآونة الأخيرة ولاسيما مع عملها الشاق ، "يا رب أعني على حالتي هذه ، اه لو كانت "إميلي" هنا لاهتمت بأمري ..." كلام كان يدور في ذهن "لينا" وهي على فراش المرض لم تكمل حديثها ذاك حتى يدق الباب ، من يا ترى ؟

خمنت عزيزي القارئ ، نعم لم تخطأ لقد كانت "إميلي" قد أتت هي ووالدها لكي تزف ل"لينا" أحلى خبر ستسمعه ألا وهو عودتها لمزاولة دراستها في الجامعة ، لقد تدخل "السيد باركر " في حل مشكلة طردها و أفهم لجنة الكلية بأن "لينا" ليس لها أي دخل في هجوم المافيا و ألقى باللوم كله على "ياكاري " ، وبذلك حُلت مشكلة صاحبة العيون العسلية لتكون هذه البادرة هي هدية امتنان منه لما قدمته "لينا" من اعتناء و حماية لابنته.

"لينا" تقفز فرحا من هذا الخبر كأنه جاء بمثابة ترياق شافي لمرضها ، هكذا هي الحياة تريقنا مرة معاكسة لصفو أحلامنا وتصالحنا مرة أخرى مكفرة عن ذنب قد ارتكبته بحق أمانينا البسيطة .

حلة جديدة ، همة وعزيمة ، وجه باسم ، متوعد بأمل نجاح قادم، يغني عن لحظات البكاء و الحزن التي مرت بها صاحبة العيون

العسلية ، الوجهة إلى أين جامعة أكسفورد كلية الهندسة والعمارة من جديد.

It is not enough to have a good mind without using it well.

Dicarte

لا يكفي أن تمتلك عقلًا جيدًا، دون أن تحسن استخدامه.

ديكارت .

أكيد ، فعلا الإنسان دوما عليه أن يدرس كل خطوة يخطوها لكي لا تكبده عناء سوء خيارته ، أن تكون فطن بما يدور من حولك شيء جيد ولكن القدر له نصيب أكبر من تسيير حياتك لأن كل شيء مقدر وما على الإنسان إلا أن يسعى لإدراك النجاح .

دفاتر وكتب موضوعة ، أقلام جهزت للكتابة ، مدرج يعج بالطلبة ، "لينا" تعود إلى جو الدراسة ، وكلها فرح وسرور جو اشتاقت له كثيرا .

"عذرا ، هل أجلس بجانبك ؟ " شاب يسأل ، تجيبه صاحبة العيون العسلية :" طبعا ، تفضل و... اا هذا أنت ما هذه الصدفة الغريبة ؟"

نعم لقد كان هو نفسه الشاب الذي التقت به في الغابة ، لقد كان يدرس معها في نفس الكلية و لم تكن تعرفه قبل لأنه معيد في الكلية أي أنه يحضِّر لرسالة الدكتورة ، في نظام التدريس البريطاني طالب الدكتورة يسمى بالمعيد لأنه يحضر رسالته للدكتورة انطلاقا من خلال سنوات الماضية التي درسها وبذلك يقوم بالتحضير مع السنوات الأخرى ، لذلك يقوم بحضور المحاضرات معهم .

لقد كان شعورا غريب كأن نمط مشاعر جديدة يخالج نظام سير نبضات قلبها ، ما الداعي لكل هذه الفوضى الشعورية .

على كل بجلوسه صار يطرح العديد من الأسئلة حول المحضرات السابقة وهي لم تكن تجيب بحكم أنها انقطعت عن الدراسة لفترة قاربت الستة أشهر ، "لماذا أنت ساكتة ألا تريدين أن تعطيني المحاضرات السابقة ، أنت فعلا بخيلة " بضحكة مازحة ، و أسلوب سؤال غريب ، كان يحاول الشاب أن يفتح معها باب الحديث و من دون قصد منه كان قد جرح مشاعرها ، "أنا ، لم أكن أزاول الدراسة ، لقد عدت حديثا ، اسأل شخصا آخر دعني و شأني رجاءا ." أجابته "لينا" وفي قلبها غصة من سؤاله ذاك انتهت المحاضرة وبانتهائها، حاول الشاب أن يستفسر من الطلبة حول إن كان لهم علم بسبب توقفها أخبره أحد زملاءها القصة التي حدثت معها والأحداث الغريبة التي وقعت

لها ، أحس بالذنب حيال ما قاله لها ، وقام باللحاق بها ولكن لم يسعفه الحظ لأنها كانت قد غادرت المكان ، وفي طريقه للعودة صادف شخص ، لم يكن قدومه للجامعة بالحسبان لقد كانت "ياكاري " مجددا تعود للساحة بعدما ظن الجميع أنها توفت في حادث الانفجار ، ترى ما سبب عودتها !؟ .

لقاء مثير للريبة والدهشة ، مزيج من القلق والحيرة أسئلة كثيرة تطرح حول عودة كابوس "لينا" الأول .

"مرحبا ، ألم تشتق لي عودتي أم أنك تناسيتني بجرد تعرفك على تلك البلهاء ..." "ياكاري" كعادتها تخاطب الشاب و كلها تعجرف و سلطة نيران الحقد كانت تملأ قلبها ضغينة تجاه من كانت تدعي أنها سبب كل مصائبها ، الشاب يجيبها وكله قلق : "دعينا نذهب من هنا ، هذا ليس مكان ملائم للتكلم اتبعيني هيا ."

Charlie's **Cafe** & Bakery مخبز ومقهى شارلي ، كان المكان للقاء المثير للحيرة بين الشاب و "يا كاري " ترى ما سبب اجتماعهما و ما العلاقة التي تربطهما .

" و الآن ماذا يا سيد "مارت" ألن تنفذ ما كنت قد طلبته منك سابقا " ، "يا كاري " تستفتح الحديث على طاولة المقهى الأكثر شهرة في مدينة "لندن" ، "مارت" من "مارت" ؟

نعم عزيزي القارئ هو نفسه الشاب ، لكن كيف تعرفت عليه "ياكاري" ، لنعد بالزمن قليلا هل تتذكر معي يوم قالت "إميلي" أنها سمعت حديثا يدور بين كل من "ياكاري " و شاب في الحانة حول انتقام لها من "لينا" ، لقد كان نفسه "مارت " "ياكاري" في ذلك الوقت كان شغلها الشاغل الانتقام ، أوصت عصابة المافيا الذين لم ينجحوا في تحقيق غايتها و في الآن ذاته ، اتفقت مع "مارت" على أن يطيح بقلبها و يوقعها في شباك غرامه و من ثم الغدر بها ، و كان قد وافق على ذلك مقابل مبلغ مالي أكيد ، معرفة "ياكاري" ب "مارت" قديمة بعض الشيء حيث كان يتعامل معها في ترويج المخدرات بين طلبة الجامعة أي أنهما كانا يعملان كلاهما لصالح عصابة "سينالوا" .

"هل أنت غبية أم ماذا ؟ كيف لكي أن تقدمي على العودة من دون أن تتصلي ب حتى ؟" "مارت" يخاطب "ياكاري " وكله غضب من قدومها دون إخباره ، تجيبه "ياكاري" وكلها برودة أعصاب : "ما الذي يقلقك عزيزي ما بك ؟ هل تعرفت على تلك الحمقاء أم لا زلت تماطل ، أريد منك أن تطيح بيها أن تحرق قلبها ، كما تسببت هي في حرق وجهي في ذلك الانفجار اللعين ، كلما أتذكره أصاب بنوبة قلق ، تبا لها تبا وسحقا انتقم لي سريعا و إلا سيكلفك تهاونك حياتك." بنبرة غضب وسخط تضرب "ياكاري" الطاولة وتخرج بعدما أسمعت "مارت" ما قدمت لأجله ، فهل سيتمكن من الانتقام لها أم سيكون للقدر حديث آخر.

تَعِبت مسافاتي .. أحببتُ التعب.

لعِبَتْ خرافاتي .. كرهتُ اللُعَب.

يا حافي القلب تنشد لي روحي .. غصة القلب.

صحيح أننا نرغب دوما بالهجرة طامحين في تحقيق أحلامنا البريئة للعيش بسعادة ، ولكن لما قلت ولكن هذه أللكن من تعكر صفو آفاقنا ، ليس كل ما يتمناه قلبنا يتحقق وان تحقق سيكلفنا دفع غرامة تحقيقنا لذاك الحلم خاصة وان كانت تلك الغرامة هي خسارة العائلة و الابتعاد عنهم لفترة كبيرة من دون معرفة أي خبر عنهم وسبب ذلك هو الهجرة .

بمرور الأيام تشتد رغبة صاحبة العيون العسلية بلقاء والداها الذي طال غيابها عنهم خاصة أنها لم تتصل بهم لفترة .

سماعة هاتف ترفع ، قلب يخفق بشدة ، لشوق وحنين ابنة غادرت حضن بيتها الدافئ رغبة في تحقيق شهادة عليا تسعد بها قلبا والداها ، "ألو ، أمي هذه أنا "لينا" اشتقت إليك كثيرا يا أمي ....." بتلهف تحدث "لينا" والدتها و لم تترك لها حتى فرصة الرد عليها ، "أهلا ، يا ابنتي ، كيف حالك أأنت بخير ..." تجيبها والدتها بصوت غريب كأنها تكلمها من عند البقال تسأله ما نوع الطحين الذي ستعجن به الخبز ، بنبرة حزينة ممزوجة بالبرود تجيبها والدتها .

تعاود "لينا" طرح سؤالها "أمي ، ما بك نبرة صوتك لا تعجبني أحدث شيء ما لأبي أأنتم بخير أرجوك أخبريني ؟."

ما يدور في ذهنك الآن عزيزي القارئ صحيح لقد وافت المنية والد"لينا" لتصبح بذلك مكسورة الظهر والسند .

يعد الوالد في حياة كل فتاة الحبيب الأول في حياتها لأنه أول رجلا تفتح عيناها فيه تتخيل فارس أحلامها في خصال أبوها تتمنى بأن ترزق زوجا يخاف عليها ويحرص على راحتها كما يفعل والدها ، وبفقدانها له تسود كل الدنيا في عينيها تموت في اليوم ألف مرة تشتاق لروحه لحنانه لعطفه لشراسته في الدفاع عنها من كل شر محدق بها ، وهذا بالضبط ما أحست به صاحبة العيون العسلية بمجرد سماعها للخبر أغلقت السماعة في وجه والدتها من دون توديعها حتى ، وسط جمود وانعزال ، لوم وعتاب ، ملقية بنفسها كل العتب لعدم الاتصال مسبقا ، لعدم الذهاب ل حضور حتى مراسيم دفنه و لصلاة جنازته ، و حتى لعدم رفضها للهجرة ، كان ذلك صعب لدرجة فقدانها ذاتها ما من أحد يخفف عليها مصيبتها وهي في ديار الغربة ، بعد كل ما عانته من طرد وتهميش وتنكيل وبعد رجوعها من جديد لتكمل مشوارها جاء هذا الخبر كالصاعقة ، مما أدخلها في دوامة اكتئاب حاد .

سرحان ، حيرة ، أمال منكسرة ، قلب محطم ، عين تبكي ، وجع مفقد لروح الحياة ، فقط غبار أحلام تلاشت وسط ضجة مدينة الضباب لندن .

تصرفات "لينا" أصبحت غريبة ومخيفة بقدر كبير ، تهربها من الدراسة وانعزالها صار أكثر من اللازم لم يعد مجرد حزن على فقدانها لوالدها ، لقد أصبح أكثر من ذلك أصبح مرض وهاجس حبها للوحدة ولد شيء مخيف جدا .

صراخ ، هلع ، كابوس مخيف يريق نوم "لينا" بمجرد استيقاظها من النوم تبحث عن كوب من الماء لكي تخفف عن نفسها وتبلل ريقها من ذاك الكابوس المخيف ، وبينما كانت ذاهبة للمطبخ وإذ بها ترتطم قدمها بحافة السرير مصطدمة بالمرآة التي كانت موضوعة على المكتب قرب سريرها ، تسقط تلك المرآة منكسرة على الأرض ، و ما إن أنزلت صاحبت العيون العسلية رأسها كي تجمع تلك القطع المكسورة حتى تلمح شيء غريب ومخيف يظهر على قطع الزجاج المكسورة تلك ، انعكاس صورتها بشكل غريب .

رأت نفسها في تلك القطع بصورة مخيفة وكأن تلك الفتاة الموجودة على الزجاج تكلم "لينا" ، لقد كان شعرها يغطي نصف وجهها وثيابها ممزقة وعيناها جاحظتان والمكان من حولها كله دماء ، خافت صاحبة العيون العسلية جدا من ذلك المشهد و بينما كانت تسامر الوقت كي تسرع في جمع تلك القطع جرحت إصبعها ، حاولت لملمت الخوف الذي كان بداخلها و أسرعت في جلب ضمادة لوضعها على مكان الجرح و ما أن ذهبت لجلب الضمادة حتى أدركت الصبح مستقبلة يوما جديد لها في رحاب مدينة الضباب .

"أسرع , لقد فاتنا القطار الآن ، كيف لنا أن نصل ؟ غبي أنت فعلا غبي ." "ياكاري" تتجادل مع "مارت" القطار ، إلى أين

وجهتهم ولما هما مع بعض هل يخططان لشيء مشترك للانتقام. الساعة الثامنة صباحا ، زحمة سير كبيرة ، انعدام الموصلات ، والجو مثلج ، مع مطلع شهر ديسمبر اكتست مدينة الضباب حلة بيضاء ناصعة للعيان .

ديسمبر عندما نقول ديسمبر تنتهي كل الأحلام ، ديسمبر شهر مفارقة الحكايات ، شهر اغتراف الكتب والروايات للتكفير عن ذنب سنة كاملة باتت تداعب الذكريات التي كنا قد نقشنا تفاصيلها على أحد صفحات تلك الكتب التي كنا نقرأها.

في ديسمبر يبدأ كل شيء و في ديسمبر كذلك ينتهي كل شيء ، نفتقد روحنا الضائعة مع حبات الثلج المتساقطة متأملينا أن نلاقيها بعد ذوبان جليدها ، أنت الأخير فكن الأفضل .

هذه العبارات التي كانت ترددها صاحبة العيون العسلية وهي في طريقها للجامعة ، بعد تلقيها لإنذار بفصلها إن لم تزاول دراستها ، لأنها تغيبت لمدة قاربت الأسبوعين .

بوصولها للكلية التقت ب"مارت" ومعه "يا كاري" لم تتعرف عليها "لينا" لأن ملامح وجهها قد تغيرت بعد حاث الانفجار

التي نجت منه بأعجوبة لحسن حظ "لينا" أنها لم تتعرض لأذى يذكر فقط جروح طفيفة .

"مارت" يلقي بالتحية على "لينا" :"صباح الخير ، كيف حالك يا فتاة ما سر اختفائك هذا ؟" بنبرة صوت أثارت انزعاج "لينا" ألقى عليها التحية ، ترد "لينا" :"اسمي "لينا" قبل كل شيء ثانيا اعتدل في كلامك ثالثا صباح الخير رابعا أظن أنه ليس من شأنك التدخل فيما لا يعنيك و أخيرا وداعا ." كلمات كانت ثقيلة على مسمع "مارت" الذي أصيب بالحرج أمام "ياكاري"،التي انفجرت ضاحكة بذهاب "لينا" قائلة :"ويحك يا فتى ما هذه الصدمة أأتصل برجال الإطفاء لأبلغ عن حريق قد نشب أمامي كان سببه مسخرة أنت حقا غبي، أهكذا ستنتقم لي أظن أن عليا أن أفكر مليا في أمرك ."

كلماتها تلك أشعلت نار الغل في قلب "مارت" الذي صار مولعا بالانتقام أكثر من أي وقت مضى لأن الأمر أصبح يعنيه شخصيا ، "مارت " الشاب الوسيم فارس أحلام كل فتيات الجامعة تلقى ردا لاذعا من قبل فتاة و أمام من ؟ أمام "ياكاري" التي لا تكاد تمسك لسانها ، ستفضحه عند أول زلة لسان ، لقد أدخل في رأسه فكرة تعريضها لأشد أنواع السخرية وصمم على

ذلك فيا ترى هل سيفعل ذلك أم أن القلم سيكتب نهاية أخرى كان حبر ذاك القلم القدر من يدري ؟.

الفصل الخامس

لكل بداية نهاية

الفصل الخامس: لكل بداية نهاية.....

The only way to face successive disappointments is to like the idea of disappointment it self! If a person succeeds in that, nothing surprises him any more, transcends everything that happens, and becomes the indomitable victim!

- Emile Cioran

الطريقة الوحيدة لمواجهة الخيبات المتوالية، هي أن يعشق المرء فكرة الخيبة نفسها ! إذا أفلح المرء في ذلك لا يعود يفاجئه شيء، يسمو فوق كل ما يحدث، يصبح الضحية التي لا تقهر!

-إميل سيوران

مهما اختلفت الأماكن والأزمان يظل الإنسان ، يكافح فكرة الخيبة والفشل حتى يتمكن من التغلب عليها نهائيا ، لأن التغلب بات شيء ضروري في حياة كل واحد منا مدام التخلي جزء لا يتجزأ من الخيبة فالخيبة تعني المفارقة والتخلي عن الأحلام الاستمرار بالتشاؤم و الانكسار .

نحن متعبون من مقاومة هذا العالم بما يكفي ،

ولا نريد سوى شجرة آمنة ،

و قلوب تحب سعادتنا....

We are tired of resisting this world enough,

We only want a safe tree,

And hearts love our happiness....

ذات ليلة جلست "لينا" في غرفتها بعد ما أعدت كوبا من القهوة الدافئة فاتحة ذلك الكتاب لكي تغازل كلماته ، هائمة مع كتابته ، مقابلة نافذتها التي تطل على البحر الراسم لأحلى صورة للنجوم المنعكسة على سطحه ، واضعة موسيقى هادئة لأحد سيمفونيات بتهوفن الرائعة ، معدة بذلك جو كلاسيكي هادئ مريح ، وما إن انغمست في ذاك الكتاب حتى تسمع صوت غريب قادم من المطبخ ، خافت بعض الشيء للوهلة الأولى وذهبت كي تتقصى الأمر وإذ بها قطة صغيرة بيضاء اللون تبحث عن شيء ما ليأكل في المطبخ ، قامت صاحبة العيون العسلية بحملها وهي سعيدة بوجودها لأن "لينا" من عشاق القطط منذ أن كانت صغيرة وهي تقوم بتربيتهم ، هكذا ستجد من يسليها في وحدتها تلك ، بعدما حملتها قامت بإعداد الحليب لها وقامت بتقديمه في الطبق وهي تنظر لها ماسحة على رأسها ، وبينما كانت القطة تشرب في الحليب لاحظت "لينا" شيء غريب وهو تغير لون عينين القطة

ففي بادئ كان لون العينين أزرق وبمجرد شربها للحليب صار اللون أسود و القزحية صار لونها أحمر ، اندهشت "لينا" من ذلك وخافت لأن الذي حصل غير منطقي ، هرعت "لينا" في إشعال الضوء حتى تتأكد من الأمر و ما إن أشعلته حتى تختفي تلك القطة ، "ما هذا لقد كانت هنا كيف و أين ذهبت ؟ هل أنا أتوهم ؟"هكذا كانت ردت فعل صاحبة العيون العسلية ممزوجة بمشاعر الريبة والفزع من الذي حصل معها ، أسرعت بإغلاق الموسيقى و من ثم مباشرة إلى الحمام توضأت وصلت ركعتين لله كي تهدأ نفسها قليلا ، بعدها داهمها النعاس واستلقت على سريرها لتغرق في نوم عميق لساعات .

في صباح اليوم التالي نهضت "لينا" مسرعة لأن كانت قد تأخرت على حصصها .

هندام مبعثر و كتب محمولة على اليد خطوات سريعة ، بهذه الحالة وصلت صاحبة العيون العسلية إلى صفها وكانت تلك الحصة حصة تطبيقية ،(في الحصص التطبيقية يكلف الطلاب بإجراء مشاريع مع طلاب السنوات الأخرى و في أخر السنة يكشف عن النقطة) دخلت "لينا" مسرعة و كان الأستاذ قد قام بتقسيم الطلبة ولم يتبقى سوى "لينا" ومن يا ترى؟ نعم انه "مارت" طالب الدكتورة وبذلك ينتهي التقسيم فوجئت "لينا" بهذا التقسيم معارضة الأستاذ : "لا يمكنني أن أكون معه في المشروع

أستاذ أود التغيير ." تقاطع الأستاذ بشدة معارضة للقرار يجيب الأستاذ : "غير ممكن يا آنسة لقد حسم الأمر وعليك بتنفيذ المشروع مع شريكك." في تلك اللحظة يدق الباب و يدخل "مارت"، بعد دخوله بلغه الأستاذ بشريكته الجديدة في المشروع ارتسمت على وجهه ابتسامة خبيثة فهذه الفرصة تعد من ذهب لكي تسهل عليه فكرة الانتقام من الإحراج التي كانت قد سببته له أمام "ياكاري" .

Do what makes you happy, days never come back. Do not trust the beginnings, the truest words are said at the last moment.

Dicarte .

افعلْ ما يسعدك، فالأيام لا تعود. لا تثقْ بالبدايات، فأصدق الكلام يقال في اللحظة الأخيرة.

ديكارت .

قد يكون الإنسان على خطأ في تفسير العقليات التي يقابلها في حياته عادة والتسرع في الحكم لكن ليس بالضرورة أنه مخطأ في التقدير أو ما شابه لكن على الفرد منا أن يراجع نفسه جيدا قبل الحكم بالبعد و المعاقبة أحيانا ، غالبا من نكون معهم علاقات صداقة أو حتى علاقة حب كنا نتملقهم بحكم المجملات التي كنا نتودد لسماعها و نستأنس بوجود تلك الوجوه المزيفة في حياتنا وكلنا ظن بأنهم الأصدق وحتى الأروع ولكن بمجرد تغييرهم معنا يظهر الوجه الحقيقي الذي يسبب لنا الكثير من الآلام التي لا تشفى حتى بمرور الزمان و أحيانا العكس من كنا نخالهم أعداء يصبحون أحباء وأصحاب مواقف لذلك لا تثق بالبدايات فأصدق الكلام يقال في اللحظة الأخيرة .

"Live freely, one constraint that can suffocate you in the event you break that restriction, and guess carefully about choosing who deserves your heart and heartbeat before falling into the bottleneck."

"عيشي بحرية قيد واحد قادر على خنقك في حالة إفلاتك لذلك القيد وخمني مليا في اختيار من يستحق قلبك ونبضاته قبل الوقوع في عنق الزجاجة. "

"انتظري على رسلك لما العجلة لما كل هذا النفور أنت غريبة فعلا ؟" "مارت" يلحق ب"لينا" مستغربا منها عدم رغبتها في مشاركته المشروع ، تجيبه صاحبة العيون العسلية قائلتا :"من فظلك رجاءا دعني أذهب لأحل هذه المسألة مع الإدارة لا يمكنني العمل معك لأسباب الشخصية..." يقاطعها سائلا إياها و "ما هي هذه الأسباب ؟ أظن أنني لم أسبب لكي يوما إزعاج على العكس فقد ساعدتك في يوم مضى هل نسيت ذلك على كل أنت حرة و افعل ما تردين ." غادر "مارت" وترك "لينا" تذهب لإدارة و في نفسها غصة.

ترى ما سبب تصرف "لينا" هذا وهل كانت تحس بنيته الخبيثة ؟ أم أنه مجرد مشاعر متفرقة لا تجد نص يحويها لكتابتها على قلب صادق أم أنها وقعت في حبه!! كل هذه التساؤلات إجابتها عند صاحبة العيون العسلية .

بذهاب "لينا" للإدارة وإيداع طلبها بتغيير الشريك الذي قبيل بالرفض زرع فيها شعور التعاسة لأنها كانت تحس أنها بالعمل معه سيتسبب لها بمشاكل وهي في غنى عنها .

طوال طريق عودتها للمنزل كانت هائمة و تفكر في الطريق ، مرت بجانب متجر للحلويات ، اشتمت تلك الروائح الزكية المنبعثة منه فدخلت لتشتري منه بعض من قطع الكعك اللذيذ ، و بعودتها أعدت معه كوبا من الشاي و جلست لكي تريح تفكيرها

قليلا من هذا اليوم المليء بالأحداث الكثيرة وما إن فتحت علبة الكعك حتى تجد فيها رسالة صغيرة أمسكت بتلك الرسالة لكي تقرأ ما كتب فيها ، وإذ بالهاتف يرن مكالمة من والدتها تسأل عن حالتها وعن أخبارها ، انشغلت بالمكالمة والتحدث مع والدتها تاركة تلك الرسالة على الطاولة ، سرت "لينا" باتصال والدتها الذي هدأ من روعها قليلا .

الأم هي الصديقة الوحيدة ومأمن أسرار ابنتها هي البلسم الشافي لكل جروحها فبقدر أن الأب مسند ظهر الفتاة فالأم البيت الحاوي والحضن الدافئ لابنتها ومدللتها .

في صباح اليوم التالي تذكرت "لينا" بأن عليها التواصل مع "مارت" والبدء بشكل رسمي في التحضير للمشروع وعدم تضييع الوقت لأي سبب كان لذلك ذهبت مبكرا للكلية من أجل البحث عنه و في طريقها للذهاب وجدت عند باب غرفتها علبة و باقة من الزهور اندهشت من وجودها وقامت بحملها لتجد فيها قطع من نفس الكعك التي اشترته بالأمس وفيها عدة من الصور لها فوجئت بتلك العلبة وخرجت لتمر مرة أخرى على نفس المحل الذي اشترت منه لم تجد أي شاب بل وجدت امرأة مسنة وحفيدتها تقوم بالبيع سألتهم إن كان هناك شخص أخر يعمل معهم ، و أخبراها أن هذا المحل تعمل فيه فقط السيدات استغربت من الموقف ومضت في طريقها للكلية ، عند وصولها سألت عن

"مارت" و أخبروها بأنه في المقهى الذي يقابل الكلية ذهبت للتحدث معه و عند وصولها حدثت الكارثة .

وجدت "لينا" "ياكاري" معه وهنا كانت "ياكاري" قد تعافت من الجروح التي كانت تعاني منها وبدأت ملامحها تظهر ذهبت مسرعة لهما وصرخت في وجهها قائلتا :" ما الذي أتى بك إلي ماذا تريدين أن يحصل أكثر مما حصل ألم يكفيك ما سببته لي و كل هذا بسبب شيء لم أرتكبه حتى .." يقاطعها "مارت" قائلا :" على رسلك ما كل هذه الجلبة لقد أثرتي فوضى في المقهى اجلسي ولنتحدث بروية ..." تجيبه بقلق :" أنت أسكت ولا تنطق بحرف واحد كنت أعلم بأنك مثير للرهبة و قد صدقت ظنوني دعوني في حالي ما الذنب الذي اقترفته كي أعاقب هكذا ..." وتخرج من المقهى باكية وإذ به تأتي سيارة مسرعة كادت أن تصطدم بها لو لا لحاق "مارت" بها وإبعادها عنها لما نجت منها ، سقطت على الأرض مغمى عليها ، اتصل "مارت" بالإسعاف لأخذها للمستشفى .

عدة أكسجين ، سيروم معلق ، وسرير مريض ، فتحت صاحبة العيون العسلية لتجد نفسها أمام الطبيب الذي كان يتفقد حالتها .

"لا تخافي مجرد أزمة قلبية خيفة بسبب الصدمة ابتعدي عن كل ما يؤذي صحتك و تجنبي الضغوطات و الغضب قدر المستطاع أتمنى لك الشفاء ." طمئن الطبيب "لينا" على صحتها وبخروجه

دخل "مارت" كي يطمئن عليها أدارت وجهها و أغمضت عيناها كي لا يدخل ، شعور غريب خالج "مارت" في تلك اللحظات أحس بندم معاتبا نفسه لو نفذ انتقامه ماذا سيكون حتفها شعر بتأنيب ضمير حاد وهوا يراها ممددتا على السرير هل أحبها أم أنه مجرد شعور شفقة عليها ؟.

في صباح اليوم التالي اتصل "مارت" ب"يا كاري" لكي يتكلم معها في أمر ضروري ، قدمت "يا كاري" إليه بعد ساعة من اتصاله "ها قد قدمت ما الضروري في قدومي وماذا تريد أهناك شيء يفرحني هل ماتت تلك الغبية ..." بنبرة استهزاء خاطبت "يا كاري" "مارت" يرد "مارت" و في نفسه شعور الحسرة والندم على حاله لقد كان حادث "لينا" بمثابة صحوة حقيقية له مما كان فيه أراد أن يعود إلى الطريق الصواب ويبتعد نهائيا عن المهزلة التي تكيدها "يا كاري" ضد صاحبة العيون العسلية .

"الى هنا وتنتهي رحلتي معك من الآن فصاعدا لا أريد منك أن تتصلي بي و بالنسبة لانتقامك السخيف لم يعد لي صلة به فهمتي ."تجيبه "ياكاري" بنبرة جارحة و أسلوب شديد اللهجة " أتظن بأن المسرحية انتهت بمجرد إسعافك لتلك الحمقاء لا تنسى أن معارفي كلهم من المافيا وان أردت سوف اخذ روحك ولا يرف لي جفن واحد إن لم تكمل مهمتك سترى مني ما لا يعجبك ... " يقاطعها "مارت" غاضبا "أنا من أقول لكي انتهى كل شيء و

وتهديدك هذا لا يخيفني فهمتي .." فور انتهاءه ذهب غاضبا وتركها لوحدها مستغربة من ردة فعله هل ستنفذ "ياكاري" تهديدها أو أن للقدر حكاية أخرى ؟

سنة جديدة تحل على "لينا" وهي على سرير المستشفى قد تكون بداية سيئة لعام قادم حامل في جعبته العديد من الأحداث السعيدة الحزينة على حد سواء ربما بدايتها هذه تكون خاتمة أحزانها .

باقة ورد ، رسالة معبرة عن حب ، و أحاديث سلسة ، مشاعر صادقة من قلب صادق معجب مجهول يصارح بشعوره لمن ؟ لصاحبة العيون العسلية لقد قدم يوم خروجها من المستشفى بعد أن علم بأنها قد تعرضت لحادث ، أجواء غريبة و مشاعر مختلطة كانت تبدو على وجه "محمد ستيف" وهو يفصح عن حبه ل"لينا" من هذا الشاب و كيف أحب صاحبة العيون العسلية ، ؟

"محمد ستيف" شاب في مقتبل الثلاثين من عمره ، من أم جزائرية و أب بريطاني يعمل في شركة الاستيراد والتصدير كان قد تيم بحب بطلة قصتنا منذ أن رآها أول مرة وهي تبيع الفطائر على عربتها تلك كان قد اشترى منها و لكن تتذكره بحكم الحالة التي كانت فيها ، وكان في كل مرة يتعقب تحركاتها هو نفسه من أرسل إليها علبة الحلوى يومها ذهبت للمحل لكي تتأكد من يعمل في المحل .

"أنا آسف قدمت في وقت غير مناسب أتمنى لكي الشفاء العاجل إلى اللقاء ." هكذا كانت ردة فعله بعد ما أخبرها بشعوره ، و في طريقه للخروج اصطدم ب"مارت" الذي كان يحمل في يده باقة ورد ، وقعت باقة الورد تلك على الأرض نظر لها "محمد ستيف" بمجرد النظر لها تحطمت مشاعره ظن أن "مارت" تربطه علاقة حب معها، فور دخول "مارت" للغرفة انفجرت "لينا" صارخة في وجهه طاردتا له من الغرفة تفاجئ "محمد ستيف" من ردة فعلها تلك مكملا طريقه وهو يفكر فيها طوال الوقت .

خرجت "لينا" من المستشفى و عند خرجها التقت ب"ياكاري" و يا له من لقاء كشرت فيه عن أنياب حقدها حاملة ذلك المسدس الموجه صوب "لينا" اندهشت من الوضع الذي وضعت فيه و خافت كثيرا ، " أكنت تحسبين بأن قصتي انتهت معك صحيح أنك نجوت من الحادث لكن الآن لن تنجي سوف أقودك إلى المكان الذي يجب أن تكوني فيه المقبرة يا عزيزتي .." هذه هي الكلمات التي خاطبت "ياكاري" بها "لينا" ذهلت "لينا" من تصرفها وفي اللحظة التي كانت "ياكاري" سوف تطلق النار عليها قدم "مارت" مسرعا وأبعد "لينا" لتصيبه الرصاصة هو بدلا عنها في تلك الأثناء حضرت الشرطة وألقوا بالقبض على "ياكاري" أسرعت "لينا" لترى ما الذي حل ب"مارت" وما إن نظرت إليه حتى انهارت باكية لما حل به " سامحيني أنا آسف

أرجو منك العفو ....." هذه كانت أخر كلماته قبل أن توافيه المنية.

مكتب جميل ، روح طيبة تسكن ذلك المكان الراقي ، شهادة تخرج بتقدير امتياز موضوعة على الحائط تتصدر المدخل لصاحبة العيون العسلية نعم لقد تخرجت و أصبحت مهندسة أخيرا لقد حدث هذا بعد مشوار طويل و حافل مرت به ، لقد التقت أخيرا بوالدتها بعد فترة قاربت السبع سنوات وهي في ديار الغربة التقت بها وهي محققة لطموحها الأكبر مهندسة متخرجة من الكلية العليا للهندسة في أحد أعرق جامعات العالم ،" تحقق الحلم أخيرا يا أمي بعد كل ذلك العناء ، تحقق الحلم بعد أن كنت قد فقدت الأمل في يوم من الأيام كنت أأمل يا أبي بأن ترافقني في فرحتي هذه ولكن مع الأسف ، أرجوا أن ألاقيك في جنات الخلد يا رب " بكلماتها تلك استقبلت والدتها و دموع الفرح والشوق تنساب على محي وجهها عناق بعده عناق لم تصدق المفاجئة التي حضرها لها خطيبها ، نعم انخطبت "لينا" ل "محمد ستيف" و حدث ذلك بعد وفاة "مارت" بحوالي سنة من ذلك حيث كان لها السند الداعم والرجل الصالح الذي طالما حلمت به ويكفي أنه لم يتركها في أسوء حالتها ، لتكلل علاقتهما السامية المشاعر والطيبة الوصال بطلب الزواج على سنة الله ورسوله ، بحضور والدتها لعاصمة الضباب أكملوا كل تحضيرات العرس

الذي حضره كل الأحباب و الأصدقاء الذين ساعدوا "لينا" كثيرا في رحلة كفاحها على غرار "ايميلي " ووالدها السيد "باركر".

لا تشكُ من ضعفك الجسدي، هذا لا شيء، القوة في القلب، هناك تكون أو لا تكون، الشجاعة تأتي مع الإيمان، الموت نفسه يأتي مع الإيمان، حين تؤمن بشيء فأنت على استعداد لكي تموت من أجله، أمّا إذا كنت مستسلمًا لموج الحياة، فإنّك لن تجيد السباحة في بحرها، ولن تكون قادراً على مواجهة مصاعبها. الخوف ليس فطرة، الجرأة ليست فطرة، كلاهما يُكتسب اكتسابًا.

بهذه الكلمات وددت أن أصيلكم إلى نهاية الحكاية الإرادة أساس الاستمرار في مواصلة الحياة وان أخفقنا مرة لابد من المحاولة لنكن كلنا سرابا صاخبا يعكس روح الكفاح رغم كل الظروف نقطة انتهى .